سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (39)

ديوان

محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي

(1307-1345 هـ/1889-1926 م)

بسم الله الرحمان الرحيم

أرى دهري يصافي من أُعادي   ويجرح في أحبّائي فؤادي

فهل حظّي السعيد غدا تعيسًا   فعاد ليَ الزمان من الأعادي

يعادي من أحبّ جزاء حبّي   ويَهْوى رغم أنفي من أعادي

فيا دهري لحاك الله ما لي   أراك ضللتَ عن نهج الرّشاد

فما أنا ظالمٌ بالحبّ لكن   خطبتُ ودادَ من خطبوا ودادي

ومن خطأٍ تعدَّيت المعادي   إلى الأحباب من أهل الوداد

أصبتهمُ بسهمٍ ذي نفوذ   وما له غير قلبي من نفاد

أصبتهمُ وقلبي بالسُّويدا   يفدّيهم وعيني بالسواد

صدقَ الذي سمّاكِ بالبيضـاءِ   من أجل ما لكِ من يدٍ بيضاءِ

إن البياضَ لنصفُ حسن ذوي البَهـا   وبياضُ حسنكِ حازَ كلَّ بهـاء

فبياضُ غُرّتكِ المضيئة في اخضرا   رِ رباكِ تحت القبّة الزرقاء

قد جاء فيه من التناسب ما غدت   ترنو إليه مقلةُ الحمراء

وغدا به للشارب الصهبا يطيـ   ـبُ تبادل الصفراء بالصفراء

لا غروَ أنتِ جميلة المدن التي   في غربنا جلّت عن النظراء

ذات الحضارة والنضارة والتجا   رة والعمارة من بني حواء

ذات المعاني والمغاني والغوا   ني والأغاني من لذيذ غناء

حياكِ ثغرُ الأنس من بلد تبا   هت بالمباني الضخمة الشماء

بلدٌ سقتْها أدمعي غِبَّ النوى   والدمع قد يغني عن الأنواء

أبدا يحرك ساكني شوقي لها   فأظل صبحي أرتجي ومساء

حسبي الهواء بها انتشاقا فاعجبوا   لأخ الهوى كيف اكتفى بهواء

طوبى لساكنها وناشق طيبها من ربعها المتأرج الارجاء

ياساكني البيضاء قلبي عندكم كوديعة ياساكني البيضاء

فمتى يعود الدهر يسمح باللقا رغما عن العذال والرقباء

شكرا لكم من تقلد جيده من بركم بلئالي الآلاء

شكرا لكم من تقلد جيده من بركم بلالئي الآلاء

شكرا لكل مواصل قد زارني من الأدباء والفضلاء

ورعى الاله زيارتي لمنازل ومنازه كمنازه الزوراء

دارت كهالات الاهلة دورها وتشيدت عن هامة العلياء

طالت فطاولت السماء بسموها حتى تمطت سهوة الجوزاء

فكأنما رفعت على عمد من الى ورين نور سنا ونور سناء

تهوى الثريا والنجوم الزهر أن يطلعن فيها لاأفق سماء

وكذا الصباح يود خيط ضيائه لو حل موضع كهرباء ضياء

لله ساعات قضيت بها كما شاءت الدهر طبق رجاء

ما أومضت أيامها حتى مضت لاكن كما الاعراس في سارء

أيام وصل قد كان نظم الشمل في ه مثل عقد الغداة الحسناء

في معهد قد كان نظم الشمل فيه مثل عقد الغادة الحسناء

في معهد كالروض باكره الحليا فمشى النسيم على استحياء

وصبت صباه في الصباح عليلة ترجو لصحتها رقى الورقاء

ماشم مضنى من نسيم هوائه الا وعاد مفارقا لعناء

متذكرا لقميص يوسف ذ أتي لأبيه يعقوب بريح شفاء

يا صاحب القصر الفخيم وصاحب الروض الاريض وعامل الحمراء

يا من نعذر عن لساني ان يفي بحقوق ما أولاه من نعماء

يأيها الباشا التهامي المرتضى يافخر مغربنا بلا استثناء

سقيا لمعهدك الكريم وروضه سقيا له من روضة غناء

سقيا له من مقعد صدق غدا ينسيك قصر التاج والزهراء

وبحقك اقبل في الختام تحيتي مقرونة بتشكري ودعائي

ماقلت في البيضاء لما زرتها صدق الذي سماك بالبيضاء

صاحِ لا تغفُ إذا الدهرُ غفا ... وانتبهْ تنتهبْ أويقاتِ الصفا

واغنمِ اللذةَ فيها بـاكراً ... إنما اللذاتُ في وقتِ صفا

واصطبحْ في روضةٍ غنّاءَ قـد ... زخرفَ الغيثُ رُباها زُخرفا

روضةٌ حسناءُ تُغري بالهـوى ... وتزيد القلبَ فيه شغفا

غرّدَ الطيرُ بها شجواً عـلى ... قُضُبِ البانِ وشوقاً هتفا

فانثنى الغصنُ لدى تغريـدِه ... إذ شجاه ما شجاه أسفا

وصبا ريحُ الصَّبا عند الصبا ... حِ يُحيّي قلبَ صبٍّ دَنِفا

نَمَّ عن روضٍ أريضٍ بـاسمٍ ... ناسمٍ عرفُه يا ما أَلطفا

آهِ ما أبهاه روضاً أَنِقـاً ... لم يزل في الحسن روضاً أُنُفا

قد غدا يذكرني فـي معهدٍ ... لستُ أنساه وإن كان عفا

ترتع الألحاظُ فيه زمـنًا ... يا سقى اللهُ زماناً سلفا

زمنٌ أومضَ كالبرقِ ومُنْـ ... ـذُ مضى لم ألفِ عنه خَلَفا

غير شهر المولد الاسمى اما بصنوف السعد واليمن وفا

مولد لما بدت أنواره اكتسى الكون بأنوار الصفا

أسفرت ليلته عن موسم وازدهاء وازدهار واصطفا

وزهت لما تباهت وازدهت باحتفال تم فيه الاحتفا

آه ما أعظمها من ليلة عند مولانا الامير (يوسفا)

ملك ملكنا الله له وله فضل على الكل اصطفى

فامتطى اذ كان أهلا صهوة كم بها مذ كان طفلا كلفا

وارتقى في المجد مرقى شرف في العلى لم أر منه اشرفا

وانثنى ينهض بالملك الى مظهر من دونه البدر اختفى

مهد الاصلاح في دولته وسما بالعدل في أوج الوفا

بث روح الأمن فينا وعلى من هفا أصلت سيفا مرهفا

نشر العلم وأحيا ذكره وأبان الحق من بعد الخفا

وحمى الدين الحنيفي وكم ذب عن حوزته كالحنفا

وغدا في الجود ينسي حاتما وبوصف الحلم يزري احنفا

كم جناة قد عفا عنهم وكم من عصاة قد اتوه فعفا

ولكم فينا بذهن ثاقب رتق الفتق وللخرق رفا

اودع الله القلوب حبه فسرى في الجسم منا كالشفا

أيد الله تعالى ملكه زاده الله تعالى شرفا

سيدي بشرى فهذا مولد خصه الله بما قد شرفا

وكفاه شرفا نسبته أي الى جدك طه المصطفى

فلتطب واهنأ بأبهى موسم جانب الدين به قد شرفا

واقتبل وفده واغنم عيده ولتدم للعيد تهدي تحفا

ولتدم مستقبلا أمثاله ماسقى الروض غمام وكفى

ولتدم تقل شعري انني شاعر الحضرة (ابن المصطفى)

طاب لي نظم الثنا فيك ولي مدحك العذب حلا مرتشفا

غير اني ضقت عجزا عن حلا ك التي جلت ومن لي بالوفا

فارضه شعرا يحاكي جوهرا قرط السمع به او شنفا

انه جهد مقل مثلك لما كان به قد أشرفا

وهو عذري نحو تقصيري فلا تحسبنه عن قصور أو جفا

علم الله وإني مادح بالثنا عنك تفاءلت شفا

فتفضل وتقبل مدحة أقبلت نحوك تصبو هيفا

هاكها هيفاء بكرا مهرها ان ترى منك قبولا وكفى

قف للسلام على أبي جندار مهدي الكتاب وراقم الأسطار

يمضي ويترك رقمه أثرا وهل يمضي الذي هو تارك الآثار

يا ناظرا آثاره استغفر له وإليك هذا الرسم كالتذكار

ديار عليها من بشاشة أهلها بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا

تسرك طورا ثم تشجيك تارة فترتاح تأنيسا وتشجى تذكارا

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك الكرام علينا

فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أينا

وقال رحمه الله رادا على البيتين التاليين:

أرى القلب يسلو في سلا عن همومه ويعروه ضرب في الرباط من القنط

لأن سلا من السلو اشتقاقها كذلك الرباط اشتق أيضا من الربط

فقال:

حقيق سلا من السلو اشتقاقها وأن رباط الفتح يشتق من ربط

ولكن على ربط القلوب بوده وربط الغزاة الفاتحين ذوي الربط

لذلك نراهم قد سلوا عن سلاهم كما ارتبطوا من حبه بعرى الشرط

وهذا رباط الخيل في الذكر شاهد لما فيه من فضل على مدعي القنط

وقال أيضا رحمه الله

صرح على العز قد قامت قوائمه   في وجه ناظره يفتر باسمه

إن جئته زائرا يحييك منظره   كالروض لما تحيينا مباسمه

حل البهاء فالحسن شامله   واليمن طالعه والأمن خادمه

والمجد ساكنه والسعد حارسه   والحمد فاتحه والشكر خاتمه

بشرى فقد عاد الشباب لمسجد حجراته ضاءت ضياء الماس

لما تجدد حسنه ومناره وافاه حسان مطأطئ راس

وعلى التقى قد أسست شرفاته شرفا وتقوى الله خير أساس

في ظل مولانا المؤيد يوسف ووزيره المولى أبي العباس

ولما وقف عليها سعادة الوزير ارتأى أدبا وجوب الاقتصار على ذكر الأمير، فلذلك

قلت في إصلاح البيت الأخير:

في ظل مولانا المؤيد يوسف رب الندى والسيف والقرطاس

ومنزه منه كل الحسن مقتبس كأنه من جنان الخلد مختلس

من كل صنع نفيس حاز أنفسه لذاك تعشقه النفوس والنفس

أساسه السعد حتى لو رأى زحل سعد السعود به ما كان ينتحس

على الطائر اليمني أسست العليا وفوق مناط النجم والذروة العليا

بدت غرة غراء في جبهة الربى ولاحت لنا كالخال في وجنة الدنيا

وقال بشير السعد فيها مؤرخا على الطائر اليمني أسست العليا

هم الكرام الألى جمت مناقبهم هم الهماة لمن يعني بتسديد

هم البدور التي تجلى أشعتها ليل الردى والأذى عن كل موجود

هم الحماة فمن يحلل بساحتهم يلق النجاة ولم يقصد بتهديد

وقد كان لمنعاه (الأديب أحمد بن قاسم جسوس) رنة أسف يرددها صدى الأسى والأنين، وكان قلمي مما جرى في رثائه بهذه القطعة الشعرية التي سميتها "لوعة الحزين"، فقلت:

هي الدنيا بما يبكي تدين وتفعل مايهول ولايهون

فلا تغتر اذ تبدي ابتساما فكم جفت لمغتر جفون

وحسبك عبرة ماحل فينا ونحن بغفلة عما يكون

مصاب راعنا بوفاة شهم أصابته بأسهمها المنون

أبو العباس أحمد من تبدى كأنه في العلا طود رصين

قضى وقضى وخلفنا حيارى بهذا لوعة ولذا أنين

وألبسنا ثيابا من حداد فكل بعده باك حزين

به كنا وحقك في ابتهاج ولكن خاننا الدهر الخؤون

وكان له اعتزاز واعتبار وقدر في ذرى العليا مكين

تلوح عليه شارات المعاني ويعلو وجهه نور مبين

له كل المعارف طائعات فسيان الحواشي والمتون

إلى أدب وشعر فوق سعر ولكن دونه الدر الثمين

وعلم زانه عمل وفضل وتقوى الله والدين المتين

لهذا أصبحت تبكيه عيني وتجري بالدما منها عيون

عليه أوسع الرحمات تترى وجاد ضريحه غيث هتون

وبوأه الكريم جنان عدن وآنس روحه الروح الأمين

وأنشدني صاحبنا العلامة الأديب القاضي السيد أحمد الزموري وقد حل بالرباط قوله فيه مستجيزا:

رباط الفتح إنك ذو جمال تطل على سلا ذات النضارة

وشكل سلا بجنبك مستدير ولا تقلق فإن بك الإدارة

فأجزته أو مذيلا بقولي:

وإن صالت بصولتها قديما فإن بك الإمارة والوزارة

وإن طالت بأطلال حسان فمن حسان تكفيك المنارة

وأجزته ثانيا مشطرا بقولي:

رباط الفتح إنك ذو جمال (عريق في التمدن والحضارة)

(مبانيك التي طالت وصالت) تطل على سلا ذات النضارة

وشكل سلا بجنبك مستدير (حكي من معصم الحسنا سواره)

(فقل يا حسن شكل مستدير) ولا تقلق فإن بك الإدارة

بشرى فذا الاغتباط عنه اللثام يماط

كالبدر تم سناه فضاء منه الرباط

له السماء وطاء كذا الثريا مناط

فخذه خير كتاب وافاك منه اغتباط

بين اسمه ومسما ه وصلة وارتباط

لذا أتى من وفاق تاريخه الاغتباط

ومما خاطبني به صاحبي الأديب المتضلع السيد محمد الشنجيطي لما ورد علينا بالرباط للتوظف بإدارة السعادة قوله مذكرا ومتشكرا:

رويدك إنني جد اشتياق إلى ثغر التآزر والوفاق

رباط الفتح مطمح كل ندب يروم من العلا صعب المراقي

أيممها وقلبي مستهام بمغناها ودمعي في انطلاق

أخلائي المقيمين اعذروني على هذا التقاطع والفراق

لها دين علينا بل وثاق وحتم أن يوفى بالوثاق

محمد هل تفكرت التآخي وأيام التعارف والتلاقي

وساعات قضيناها جميعا بأبحاث وأسئلة رقاق

فأجبته بقولي:

ألا اني على الميثاق باق   وان حكم الزمان بما ألاقي

أحن اليكم شوقا وذكرى   لأيام التداني والتلاقي

لأيام وددت لها فداء   باياmي السوالف والبواقي

قضيناها كما حكم التآخي   علينا في اصطباح واغتباق

وكم بتنا وغصن الأنس دان   وجنح الليل مسدول الرواق

أبا عبد الإلاه بقيت فردا   جوادا لا يجارى في السباق

تعال نجدد عهد التداني   ونرضع صفو ألبان الوفاق

وقل أهلا بمن صافي ووافى   رباط الفتح عن جد اشتياق

لولا جمالك ما دعيت بيوسفا ولا سبيت العيد حتى أدنفا

كلفت بك الاعياد فلتهنأ بها لا بل أهنيها بطلعة يوسفا

وأهنئ الشهر العظيم وقد نآ وأهنئ الدهر الكريم وقد وفا

وأهنئ الملك السعيد وبيته والجند والعلم الذي قد رفرفا

وأقول يا من صام فينا مخلصا واجل من دعي الامير الاشرفا

قد تم شهر بالصيام قضيته متهجدا متزهدا متعففا

ولليلة القدر المعظم قدرها من أمرها أظهرت ما كان اختفى

أحييتها للفجر خلف مروح يتلو عليك من المنزل أحرفا

وسهرت فيها تاليا ومصليا حتى ختمت مع الحضور المصحفا

وأفضت من سجل العطاء عليهم ما جاء عن خلف وليس تكلفا

ثم انثنيت كما انثنوا عن موعد في يوم عيد الفطر كان له الوفا

لما خرجت الى المصلى مظهرا للملك عزته التي لن توصفا

في موكب في مهرجان حافل يزهوا من التعظيم في ثوب خفا

في منظر سام بهيج مزده يهديك من سوق المناظر متحفا

حيث القبائل والقنابل والقنا قامت لتأخذ من امامك موقفا

حيث المواكب والمراكب والمنا كب والركائب في اتباعك واقتفا

حيث المدافع في الفضاء لهاصدا أضحى ينبه في المضاجع من غفا

والخيل تصهل من سرور والرما ح تميس من طرب كقد أهيفا

والفارس المغوار يزءر جرءة من شوقه للحتف أو طعن القفا

والراية الحمراء تخفق كلما قرعت أسنتها الحداد الاسيفا

وكذاك سرت الى المصلى بين تك بير وتهليل تجرر مطرفا

حتى قضيت من الشعائر سنة تعزى الى الدين الحنيفي المقتفى

وقبلت من تلك الوفود مراسما جاءت تؤديها اليك تشرفا

ثم اعتزلتهم ولطفك شامل لهم ومسد للجميع تعطفا

يا من غدا فوق الاريكية جالسا مهلا فقد جزت المجرة موقفا

ياايها الملك الاعز وخير من ركب الجواد وسل سيفا مرهفا

أنعم بعيد انت فينا عيده قد جاء مشتاقا اليك لتعطفا

واخلع على ايامه ثوب ازدها وازدهار واحتفال واحتفا

وتدرع النصر المؤبد لابسا حلل الثنا وافخر وهز المعطفا

واقبل عروسا بنت يوم حسبها في مهرها منك القبول وقد كفى

وقال رحمه يهنئ شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي بمناسبة زفاف ابنه –موسى- فيقول تاريخ 1341هـ/1922م:

أي وجه حيا فأحيا النفوسا بابتسام وكان قبل عبوسا

أعروس تبسمت أم عروب قد سقتنا من ثغرها خندريسا

أم صبيح أتى الرياض صباحا فتعاطى مع الصباح كؤوسا

كشموس تبدو بكف بدور فانظروا للبدور تبدي الشموسا

هل لهذا وذاك وفد التهاني للتداني أناخ عيسا فعيسا

أو زماني قد جاد لي بالأماني وجلاها بكرا عروبا عروسا

كعروس قد اجتلاها شعيب لزفاف ابنه المهذب موسى

لزفاف حظوظه في صعود يعتلي الفرقدين والبرجيسا

لزفاف أيامه الغر جلت قد تجلى الإله فيها لموسى

ليت شعري هل من معير جناحا فأماشي القطاة أو الطاووسا

وألبّي دعاء من ذبت شوقا لأرى طيف شخصه محسوسا

في مقام به ضروب المعالي والمعاني قد جنست تجنيسا

في مقام به استطبت مقامي واستطبت التعريس والتغليسا

في مقام أنست منه ارتياحا وانشراحا والأُنس والتأنيسا

طالما قد هصرت فيه أفاني ن فنون كانت لعلمي غروسا

يا سقى الله ربعه من مقام دام بالعلم آهلا مأنوسا

سيدي أنت من بصيته في العلو م غدا الدهر يضرب الناقوسا

والذي من حجاه أطلع في أف ق المعاني أهلّة وشموسا

ومن المجد والفخار تحلّى بلباس فشرّف الملبوسا

ولانت المصباح دم مستنيرا تجلى من نور علمك الحنديسا

فلك العلم طاع وانقاد حتى قدته طائعا وكان شموسا

دم لك الله من عليم حكيم قد رمى بالقصور فيثغروسا

إن يك العلم خبرة وابتكارا كنت فيه الحكيم بطليموسا

أو يكن حكمة من الله تؤتى كنت فيه الحكيم رسطاليسا

أو يكن رقية وترياق جهل كنت فيه الحكيم جالينوسا

أو يكن حلية فقد صرت فيه جوهرا خالصا ودرا نفيسا

أو يكن أهله كما جاء فيهم أنبياء فأنت فيهم كموسى

وعصاك الأعجاز حفظا وفهما لدروس بها ملكت النفوسا

فبهاكم فلقت من بحر علم وعيون قد بجست تبجيسا

أشهد الله أنني لشعيب ولموسى مقدس تقديسا

وبما جاء عنهما اليوم أحيى لي دروسا كما أحلي طروسا

فسلام عليهما وهناء وثناء به أهني العروسا

وهنيئا لها بموسى عروسا وهنيئا لها بموسى عروسا

وهنيئا إليك موسى لقد أوتيت سؤلك والمنى(يا موسى)

يوم حكته ليلة ليلاء هذا أغر وهذه غراء

يوم وليل انتجا إذ زوجا عيدين غارت منهما الجوزاء

عيدين مثل الفرقدين النيري ن كلاهما في المهرجان سواء

عيدين فجرهما تبلج عن سنا أين منه البدر أين ذكاء

عيدين نورهما ونورهما تجا نس حبذا الأنوار والأنواء

عيدين ثغرهما الشنيب افتر عن زهر الربا فتوارت الزهراء

عيدين عادا فاستعادا للسرو ر مواسما أيامها حسناء

عيدين قد سفرا ولكن أسفرا عن مولد عادت به السراء

وتوالت البشرى به في ليلة هي ليلة في فخرها ليلاء

غاضت لحادثها بحيرة ساوة واهتزت الخضراء والغبراء

حتى لكسرى انشق إيوان فلا إيوانه كلا ولا إيواء

وأضاء من بصرى ذراها وانطفت نيران فارس حيث لاح ضياء

ونكست أصنام مكة والتوت فكأنما قد مسها إغماء

والشرك بعد تجدعت آنافه وتمزقت من دينه الأشلاء

وتقشعت حجب الضلال فلا ظلا م جهالة لاشرعة عوجاء

لادين إلا الحق نوره ساطع (والحق أبلج ماعليه غطاء)

الله اكبر ما أجله حادثا تذكاره قامت به الأمراء

سيما الأمير أبي المحاسن يوسف فله بذكراه يد بيضاء

في حيه كم مرة حيا وأح يى ذكره يا حبذا الإحياء

فهناك حيث هناك لو أبصرته وعليه من نور الاله رداء

شبهت حضرته سماء وهو بي ن نجومها قمر له لألاء

فعلى اليمين قضاته وعدوله وعلى يساره آله الشرفاء

وأمامه الوزراء والحجاب وال رؤساء والكتاب والشعراء

خضعوا لعزته كما هو خاضع لله يعلوا وجهه استحياء

تغشى الجميع من المهابة خشية   قد خامرتها عطفة ورضاء

وتحوطهم عين لحاجبنا الرضى   عيني لحاجبه الأغر فداء

والمادحون كأنهم في مدحهم   داوود أو إسحاق أو رقاء

ترتيبهم قد زانه ترتيلهم   إنشادهم قد زانه إنشاء

والكل من طرب يميل كشارب   نشوان قد دبت به الصهباء

أو كالذي قد هزه شوق لمن   طابت بطيبه طيبة الغراء

حيث المصلى والمناخة والنقا   والمنحنى والروضة الغناء

حيث العقيق كأنما يجري العقي   ق إذا جرى في مائه الحصباء

حيث الثنايا قد تألق برقها   وعذيبها عذب به استشفاء

حيث العيون صفت ولكن شفت   من قد رمته عينها الزرقاء

حيث الجنان وحيث طوبى والربا   (والأطيبان هواؤها والماء)

حيث المغاني والمعاني والمعا   لي والقباب تقلهن قباء

حيث المقام به استطاب مقامه من ظللته القبة الخضراء

حيث الشريعة أسست وتشيدت وتأيدت أعلامها البيضاء

حيث الديانة ثم بدر كمالها حيث الهدى والملة السمحاء

حيث ابتدا الإسلام يظهر أمره حيث انتهى الإرسال والإيحاء

حيث الذي وجد الوجود لأجله لا آدم لولاه لا حواء

حيث النبي وآله وصحابه حيث النقيبة بنته الزهراء

فعليهم صلة الصلاة لنفحها أرج به تتأرج الأرجاء

وعلى الأمير تحية مقرونة مني بتهنية ومنه رضاء

لاح من نورك السنا والسناء يا نبيا من نوره الانبياء

وتجلى لك الجلال جلالا يا عظيما تجله العظماء

حزت جزت من المعالي مقاما دونه الفرقدان والجوزاء

وسموت البدور عند كمال بكمال ما لابتداه انتهاء

أنت روض ثماره كل فضل تجتنيه من غصنك الفضلاء

أنت بحر زلاله كل عذب رشفته من كاسك الجلساء

أنت غوث وغيث كل بلاد بك جادت غبراءها الخضراء

أنت من كله علو ومجد وفخار وبهجة وبهاء

وجلالة وعصمة وجمال ووقار وهيبة وحياء

وصفاء ورفعة وكمال وشفاء ورحمة ووفاء

أجمل العالمين خلقا وخلقا أحمد الخلق أحمد المعطاء

أكمل العالمين علما وحلما من له في الندا اليد السمحاء

من غدت معجزاته معجزات معجبات ما إن لها أكفاء

باهرات بل ظاهرات ظهورا ليس فيه عن العيون خفاء

أو ما أبرأت بلمس عيون راحة سبحت بها الحصباء

وبها انهل من زلال مياه ما تروت بالعذب منه الظماء

ولرجليك قبل الترب في المشي ي عليه ولانت الصماء

ومن الحر أين سرت وسارت ظللتك الغمامة البيضاء

ولك الشمس طاعة وانقيادا وقفت حين هاجت الهيجاء

وهلال السماء عند تمام شق نصفين والورى شهداء

ولك الجذع حن حنة صب إذ شجاه من بعد وصل جفاء

ولك الضب نادى في خير ناد كظبي تغار منه الظباء

ولك الدوح أقبلت ساجدات ولك الحوض في غد واللواء

ولكم آية وكم معجزات حار في نظم سلكها الشعراء

هي آيات حكمة محكمات حسب من رام وصفها الاعياء

فعليك الصلاة خير نبي جنده الانبيا والاصفياء

ورضي الاله عن آلك الغ ر الألى عنهم يحق الرضاء

وعلى سيدي المؤيد بالل ه من الله رحمة وثناء

{يوسف} الاسم والمسمى امير آمر أذعنت له الأمراء

ملك كلما رقى للمعالي فله الشمس والثريا وطاء

قد علا غاية من المجد حتى قد غدا المجد دونه والعلاء

إن تمشى تواضعا في ثرانا حسدتها التيجان والجوزاء

أو وشت نسمة بطيب شذاه أين مسك الختام أين كباء

أو تراءت لنا بدور سناه أين بدر التمام أين ذكاء

وإذا ما أعطت يداه فقل لي هكذا هكذا يكون العطاء

سيما عند ليلة كان للدي ن ابتهاج بيومها واحتفاء

ليلة عن أوصافها ضقت عجزا بل وضاق المدا وضاق الفضاء

أسفرت عن نور النبوءة فينا فهي في الفضل ليلة ليلاء

فهنيئا بها لسيدنا من به قد حق للوجود الهناء

وهنيئا بيومها فهو يوم له من نورها السني اكتساء

ولتدم سيدي وأيامك الغر لها الانس والهناء رداء

وتقبل فهذه تهنئاتي فعسى منك عطفة ورضاء

فاستمعها قصيدة بنت يوم لك زفت كأنها خوداء

هاكها مدحة على يد مولى ناصح دون نصحه النصحاء

فاق في خلقه وخلقه حتى خجلت منه الروضة الغناء

لقبوه بحاجب حيث كنت الـ مين منه وهو اليها وقاء

فلتفض من غزير فضلك عنه فهو فينا المحجة البيضاء

وارقيا وابقيا معا في اعتزاز ما تغنت حمامة ورقاء

وبكى وابل بروض أريض ضحكت منه زهرة زهراء

وتناهى في مدح احمد قولي لاح من نورك السنا والسناء

ابو جندار والقباج يتساجلان فيما يفهم من عرض المساجلة

قال الأول

نسيم الروض يا نعم الرسول تناجيه الخليلة والخليل

ابعث شكايتي واليك اشكو خليلا لا يجاريه (الخليل)

خليلا قد بغى عني بديلا سلا بسلا وراق له البديل

بحقك لو مررت به فذكر عني اني بفكرته اجول

وانه تحيتي واشرح شجوني لمن هو بالتحية لي بخل

وقل للشاعر المطبوع يا من سلا عمن سلوه مستحيل

سلا عمن له شوق عليل ويحاكيه له جسم عليل

فهلا عفت يوما التصابي وهل للقائنا يوما سبيل

وهل داع دعاك الى التجافي   وهل واش وشى بي او عقول

فخلت وملت عني رغم اني خليل لا يمائسه خليل

يحرك ساكني وجد مديد يهيج كامني شوق طويل

واذكر ساعة الايناس قدما   فيعروني لذكراها عويل

فما هذا التجافي يا خليفي وما ذنبي ومثلك من يقيل

اذا ما حلت يوما عن عهودي فني عن عهودك لا احول

أيا ذلك الوداد وان ودي عله لا ازال ولا أزول

(وكنت أظن ان جبال رضوى تزول وان ودك لا يزول)

(ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن ادم تستحيل)

وقال الثاني

نسيم الروض يعشقه الاصيل   ويهوى طيبه الرجل الاصيل

ويبعثه لمن يهوى رسولا   اذا ما عاب أو غاب الرسول

وقد وافى إلينا من أديب   جليل والأديب هو الجليل

وأهدانا تحيته فعلينا   بها والطيب في الدنيا قليل

وأخبرنا بما يشكوه منا   فخامرنا لشكواه الذهول

لأن ما قصدنا فعل شيء   يدل على السلو كما يقول

عجيب ان يظن بان قلبي   (سلا بسلا وراق له اليدين)

وظن بانني بعد بخيل   بروحه وودي لا يطول

وظن بان واش أو عذولا   وشى ما بيننا وغدا يجول

سلا قلبي ولكن ليس عمن   بها في الفضل ليس له مثيل

ودادك لم يزل ينمو بقلبي   وقلبك يا ودود هو الدليل

ظننت وان بعض الظن إثم   كأنك يا عليم بنا جهول

فهل مثلي الى العذال يصغي ويَنسى من عليه له جميل

وهل باو فؤاد حق فيه ودادك ان هذا مستحيل

وقد علم الأحبة انني لا احيد عن الحبيب ولا أميل

ولكن الزمان له دهاء علينا والوظيف هو الوكيل

بلى لما صفا بحر المعاني ولذ لشاربه السلسبيل

وقفت مني الظمأ وصبرت حتى يقل الازدحام ويستحيل

ومن طبعي اذا صافيت شخصا أدوم على الصفا وبه أصول

وقد قالوا تزول جبال رضوى وتنقل والطبائع لا تزول

بين الشاعر المطبوع، والاستاذ المرحوم أبي جندار

الأدب: (وعلى تفنن واصفيه لحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف)

حسب الادب شرفا انه أعلى ما يزدان به الانسان في هذه الحياة ومن ناله لم يفته شيء ومن فاته لم ينل شيئا. وصلة الادب امتن من صلة النسب بدليل ما تراه بين الادباء الحقيقين من الصفاء والوفاء والولاء والاخاء مما يندر وجوده بين الاخوة الاشقاء على حد قول ابي تمام

(وقرابة الادباء تقصر دونها عند الاديب قرابة الارحام)

حضرت في إحدى ليالي ربيع الثاني من عام 1343 مجلس سمر بدار صديقي الاستاذ ابي جندار رحمه الله ضم نخبة من رجال العلم والادب وقضينا فيها ساعات نتجاذب أطراف الحديث حتى انتصف الليل أو كاد وافترقنا وفي صباحها وافاني الى دار المخزن رسول ابي جندار بالرسالة الآتية بخط يده ونصها حرفيا –سيدي الشاعر المطبوع:

يا ساعة أومضت كالبرق ثم مضت هل الفدا ممكن حتى أفديك

بالله عودي فقد ذابت جوانحنا شوقا الى الشاعر المطبوع شاديك

عودي لنا مرة أخرى وثالثة فالعود أحمد لي لا بيضة الديك

فأجبته عنها بما نصه –صديقي الاديب الكبير:

يا راحة أطربتنا بالذي كتبت قلدت جيد المعالي من لآليك

لبيك ها نحن قد جئناك ثانية لما سمعنا مناديك لناديك

لولا أياديك يا راح الكرام لما جئنا اليك ولم نلثم أياديك

لا تحصر الود في ثان وثالثة فالحصر يمنعنا من ان نوافيك

وقد قال لي أبو جندار رحمه الله عند ما اجتمعت به بعد ذلك: ان الحصر في قولي (ثان وثالثة) اضافي فلا محل لملاحظتك في الجواب. فقلت له: فهمت ذلك وقصدت التجاهل والمغالطة لتقول لي ذلك شعرا وأجيبك عنه بمثله فيتسع المجال ويطول المقال فلم يفعل رحمه الله.

عهدنا مسافرنا جنرالا ولما أتانا أتى مارشالا

لأنه بدر وشأن البدور تزيد وقبل تكون هلالا

على أن بدر السماء إذا تناهى وتناقص بعد وزالا

وذا لم يزل فاضلا كاملا يزيد كماله فينا كمالا

وبدر السماء يرى في خسوف وذا دائما نوره يتلألا

وذاك بعيد وهذا قريب لعينك تنظر منه الخلالا

تراه صباحا تراه مساء تراه بليل تراه زوالا

ترى فيه شخصا وزيرا خطيرا مشيرا مديرا يعز مثالا

ترى فيه شخصا إماما هماما عليا مقاما سميا مقالا

ترى فيه شخصا يقود الجيوش يود النزيل ويهوى النزالا

ترى بطلا باسلا في الحروب اذا اشتعلت نارها اشتعالا

كما كتب الأمن واليمن في يمينه لو اطلتك نضالا

ويسراه جاءت ليسر وأسر وكلتاهما كالسحاب نوالا

فيا من دعته فرنسا مشيرا فعاد ويا حبذا مارشالا

ويا من به الغرب في نعمة وكم عنه من نقمة قد أزالا

لأنت المقيم قدمت لنا فقمنا نقيم اليك احتفالا

نقيم اليك احتفالا حفيلا وأنت الاحق بذاك اقتبالا

فدونك تهنئتي صغتها قريضا أريضا وسحرا حلالا

وقد صغتها لك باسم الرباط فجاءت وحقك مني ارتجالا

تجر على غيرها ذيلها كعذراء جاءت تتيه دلالا

وغاية ما نترجاه أن تعيش الينا سنينا طوالا

لله شلة ما أبهى مناظرها تروق آثارها الغراء ناظرها

يد الربيع أجادت صنعها فغدت كجنة الخلد تنسي الهم زائرها

دامت ودمت انا حديث في صحفي أخبارها الغر ماضيها وحاضرها

أهديكها طرفة للظرف رديفة كما غدا الحق والتحقيق ناصرها

والمدح قائدها والعقم رائدها والحمد اولها والشكر آخرها

هي الشمس قد لاحت على ظلمة اللحد ولكن بقلبي أوقدت أيما وقد

توارت علينا بالحجاب وأشرقت مع الحور والولدان في جنة الخلد

توارت فأورت في الجوانح لوعة بها صار قلبي دائما واري الزند

وسالت عيون كالعيون تدفقا وتاهت عقول الناس طرا من الوجد

وقطب وجه الدهر واغبر أفقه وغرد طير البين يوذن بالفقد

وضاق نطاق الصبر من سعة الاسا وكم فاض من دمع وكم آض من سهد

ولم لا وأظفار المنية أنشبت بمهجة ذات الصون والدين والمجد

أميرة بنت الملك درة عقده ووالدة المنصور سلطاننا الفرد

يتيمة جيد الدهر في الفضل والنهى وحلية نحر العصر في الجود والمجد

عفيفة ربات العفاف مع التقى وصاحبة الاحسان والخير والرفد

فكم من يد بيضاء أسدت وكم وكم لها في سبيل البر وفدا على وفد

لعمري لعمري إنها لمصيبة على الغرب بل والشرق والسند والهند

فيا تعس جفن لا يجود بعبرة ويا ويح قلب لا يذوب بما عندي

بلى إن هذا الجفن قد جف من دم وها أثر الادماء باد على الخد

بكيت وكم أبكي وحق لنا البكا ولكنه ماذا يفيد وما يجدي

فلو أمكن الافداء كنا لها الفدا وكنت أنا في الناس أول من يفدي

ولكن مضت لما قضى الله والقضا يقابل بالتسليم والصبر والجلد

عزاء أمير المؤمنين فانها لتذكرة من ربنا القابض المسدي

عزاء فما في هذه الدار خالد فهند كما زيد وزيد كما هند

عزاء عزاء إننا كلنا لها وليس لنا عن مورد الموت من بد

عزاء فداك النفس لا زلت سالما بعيدا عن الاحزان مالك من ند

ويا حاجبا بالعين أفديك فانشد لك الله في ذا الخطب والحادث الإد

حنانيك قدم من رثائي قصيدة لمولاي أهديها ونعم لمن اهدي

أقدمها باسم الرباط وأهله أداء لبعض الحق والواجب الودي

فمد أمير المؤمنين لها يدا وقابل رثائها بالرضاء وبالحمد

يراعك لابيض الصفائح فاتح وفكرك لالبس الصحائف صادح

صدحت فاعلا بالمزار مفردا تغريده طرف (السعادة) طامح

أتانا فحيانا تحية مخلص غدا بالصفا لا بالصفاح يصافح

يصافحنا من لطفه متوددا ومن آية الود الجميل التصافح

يصافحنا حب الوداع لراحل عزيز لناجيه عيون سوافح

فذابت من التوديع منا جوانح الى الحسن من ذاك المحيا جوانح

وثارت لنا حشو الجوارح وللحشا لواعج شوق كانهن جوارح

وطار اليك القلب يرقص من جوى (كما ترقص الاطيار وهي ذبائح)

سقى الله عهدا الحقته يد النوى بجدوته لا اخلقتك الطوائح

ويا صاحب التجريد والصدق حلفه لسرك من يصدق فلا شك راجح

قدم ناجحا في متجر العلم والحجا بعدك حافل بالمعارف راجح

ولا يخشى من مقلة الغبن بيتنا فانك في سوق (السعادة) رابح

جمالك لاح في أرض الجمال كبدر سانها عند الكمال

فأنت وحسن باريز وشعري جمال في جمال في جمال

وأنت ومهرجان العيد فيها جلال في جلال في جلال

وأنت وموكب الملك المفدى كمال في كمال في كمال

وصفوا الجمال وطالما زعموا بأ ن جمال باريز الدنا لن يوصفا

فاستكبرت واليوم هاهي أنصفت اذ كبرت لجمال طلعة يوسفا

إيه يراعي فهل لازلت مبتدعه هذي البدائع في باريز مبتدعه

هي المواسم والافراح رأيتها على المنازه كالاغصان مرتفعه

ترف خافقة كقلب ناظرها مع النسيم لها دعابة ودعه

والدور دارت مصابيح تزينها مثل العقود او العنقود مصطنعه

أو الثريا والاكل فوق عدتها كأنها من نجوم الافق منتزعه

مظاهر حول أعياد منظمة عيد فعيد فعيدهن مجتمعه

يوم القدوم ويوم الموسم الوطني ويوم تدشين نادي المحمي والجمعة

أيام انس فلا تنسى حوادثها على المسرات واللذات منطبعه

أخبارها فصلت آياتها حورا تحمل البرق منها فوق ما وسعه

والصحف سارت مع الركبان قائلة انى الامير اتى حل السرور معه

جددوا عهد (ملران) بمغربنا تحية ردها يانعم ما صنعه

سيحفظ الدهر والتاريخ رحلتها موصولة الخطوات غير منقطعه

طوبى لمن حاكها نسجا وأبدعها طرزا وطوبى لما أبداه وابتدعه

ما شيئت نثرا (كنفح الطيب) نفحته تنم عنها نسيم الكاس منصدعه

أو شئت قرضا بديعا ضيغ جوهره قرطا به قرطت آذان من سمعه

الى (السعادة) قد زفت عرائسه تروي عن الشاعر المطبوع ما طبعه

تحكي الينا عن الشرفي أشرف ما حكاه أو حاكه في الشعر واخترعه

أما أنا فقريضي جاء جهد مدي من ضاق عنه نطاق القول بعد سعه

حديثه حسن صحت روايته عن (رابح) عن (ابي جندار) قد رفعه

يلوح في أفق التاريخ (مشرقة) كغرة في جبين الدهر ملمعه

كتب الفقيه النابغة محمد البيضاوي الشنجيطي قصيدة تحت عنوان (أداء حق) لتهنئة صديقه محمد بوجندار باحرازه على وسام جوقة الشرف عقب احرازه على الوسام العلوي المنيف. وقد أجابه عليها بقصيدة من بحرها وقافيتها جاءت كالجواب عنها آية في الرقة والجزالة والمتانة.

قال الأول:

قوافي القريض البديعة قومي نؤدي حقوق الصديق الحميم

حقوق صديق امت اليه بعهد قديم وود صميم

محمد انخ للبلدتين وللبشرية أي خديم

وللجاهلين وللقاعدين عن المكرمات لجد خصيم

وانت القوي وليس يضير سليم الفؤاد سقام الاديم

تواطت الاسنان بانك انت مثل الاديب العليم

وانك أنت الخبير الذي ابان خفايا الزمان القديم

وأحيا رسوم ربوع عفت بخط يراع قويم الرسوم

فاكرمت من لدن الدولتين بذكر جميل ومجد جسيم

فهذا الوسام يقلده مدير الشؤون أمين الحقيم

وجمع سراة بدارك دار ال شعور الصحيح ونادي العلوم

يترجم عن شارة ضمنها جزاء الكريم جهود الكريم

وقبل وسام فرنسا الجليل وسام الشريف المليك العظيم

فقخر بهذا وفخر بذاك على النيرين وسامي النجوم

ولما علمت بان الوسام تحلى بصدر الحجا والفهوم

أتيت أناجي بتهنئتي أمير النثير بنا والنظيم

وقدمت بين يديه يواقيت منسوقة كفريد اليتيم

وتلك هدية در لبحر ولكن مثلي غير ملوم

وقال الثاني

قواف ولكنها كالشميم تهب علينا هبوب النسيم

بروض يحاكيك في خلق ووجه وسيم وثغر بسيم

محمد ياسر غدا ينتمي لشنجيط ربع العلا والعلوم

قوافيك هذه نعم القوافي (تؤدي حقوق الصديق الحميم)

تكاد المسامع تشربها اذا انشدت مع صوت رخيم

ندب باعضاء سامعها دبيب الشفاء بجسم السقيم

لذلك تاخذه نشوة ولا كانتشاء بكأس النديم

وتسري بتيار رقتها كما الروح تسري بنفس العديم

او الكهرباء بأسلاكها تسيل ضياء بليل بهيم

فلله درك من شاعر حكيم وقاض اديب عليم

أتيت تذكر فيما مضى لنا من وداد وعهد قديم

وعيش كجنة عدن به توفر شرط النعيم المقيم

وتنشي وتنشد تهنئة ولا كابن جهم ولا ابن النديم

تهنئني بوسام فخار تقلدته من امين الحقيم

وآخر كنت تقلدته وياشرفي من مليك عظيم

تهان اتيت تقدمها مع العذر شأن الجواد الكريم

تقول: (هدية در لبحر ولكن مثلي غير ملوم)

وما البحر الا الذي انها هدية در وعقد نظيم

وهل يقذف الدر الا خضم وفي البحر يلفى فريد اليتيم

ولكن مالك عذب زلال وبحرك بحر الندى والفهوم

فلا زال نجم سعودك في صعود يفوق سماء النجوم

{مساجلة}

عبد الله القباج

كيف السبيل الى لقاك وأنت من أثر السقام قد احتجبت عن الملا

والبدر يحجبه السحاب حقيقة لاكن لاينحط قدرا في العلى

فالى متى هذا السحاب يحول عن رؤياك يابدر الرباط وانت لا

محمد بوجندار

عذرا فما حجبي اختيارا انما قضت الظروف بالحجاب عن الملا

كالبدر تحجبه السحابة برهة حتى اذا انقشعت تبدى وانجلى

والله يعلم ان جسمي في الربا ط وان قلبي حل عندك في سلا

مساجلة شعرية ومراسلة أدبية كان ابتداؤها من جناب الاديب السيد يوسف ابي كرم المترجم بالكتابة العامة وأحد الكاتبين بجريدة السعادة بعث بذلك من فرنسا يخاطب الشاعر الرباطي محمد أبا جندار أستاذ العربية بالمدرسة العليا

أمحمد الاسمي أبا جندار لم أنكم زمنا لبعد الدار

حبي لشخصك في فؤادي راسخ ان كنت مختفيا عن الانظار

عيني تراكم حين اقرأ شعركم (بسعادة) مسعودة الاخبار

فقريضكم كالبرق يلمع عندكم فأراه فوق الشمس والاقمار

سحرا اليك صبا فرنسا قد سرت بتحيتي وثنائي المعطار

وقال الثاني

هبت تحييني صبا الاسحار فحسبتها سحرا من الاسحار

جاءت تساجلني بألطف قطعة هي شامة في وجنة الاشعار

جاءت تذكرني لأني في الهوى ممن تهزه نشوة التذكار

شكرا لفضلك يا أبا كرم لقد شرفتني بثنائك المعطار

شرفتني لازلت في شرف وفي أوج العلا تسمو على الاقمار

نسيم روضك هب في الأسحار قبة المفتون كيفية الابحار

أم بحر فكرك زف من حور المعا ني ما ازدري بجرائر الأبكار

أم ذا شعارك أم شعورك كنيه دلت بمنه رقة الأشعار

ام ذا حريرك يا حريري وضعته تضعه أنامل الافكار

قد جاء في طي السعادة نشره متأرجا بأريجها المعطار

وافى يذكرني لأني في الهوى ممن تهزه نشوة التذكار

وافى يذكر في مواعد زروني لمعهد الحمراء كالزوار

وافى يروي من حديث مختفي صنعا صحيح المتعين والاخبار

يرويه عن بعض المجالس مرسلا عن كوكب الحمرا عن الزواري

ويقول ان صحت روايتهم فقد خاب الرجا في أحسن الأوطار

مهلا رعاك الله لا تحمل على قلب جريح واستمع اعذاري

أنا ذلك المضنى المشوق ولم أزل نفسي أمينها بقرب مزار

في كل يوم تعتريني هزة تذكر بجنبي مثل شعلة نار

فاقول من لي بالغطا وجاهه فأطير للحمرا مع الاطيار

واعلل النفس العليلة ربما بلعل اطفئ لوعتي ووراري

وعلى الحقيقة لو تمكن لي المسير لطرت في الطيار لا السيار

ولكنت في انجاز وعلمي صادقا والصدق خير سجية الاحرار

لاكنا الاقدار تغمق ما تنا والجد موكول الى الاقدار

وتعذري من حيث ضعفي عن موا صلة النوى وتغربي عن داري

حيث الضنى والبرد كالقدين لي فلها لوهما معا واداري

بل اشهرا حربا على واختشي امضي ضحية ذلك الاشهار

حب انني غابت انداري فما قولي لأحبابي وللاصهار

ولو انني ليت اصهاري فما شأني مع التوظيف والدينار

لو انني غاليت توظيفي فما حيلي مع الاخطار والامطار

عذرا فهذا الفصل تذر لا فصل اسفار ولا أستفسار

أو ما ترى كيف الثرى من هوله منابت وأذى هائما برار

والجو من حزن عليها عابس والحب باكية بدمع جار

والريح في قينة كذي قيظ لها بزفيره يطير على الاشجار

والبرق خطاف يكاد بريقه لو شمته يأتي علي الابصار

والرعد يصعق والصواعق جمة ولهما زئير كالهزبر الضاري

وانظر الكائنات تشاء تجد بها عذري جليا في لزوم الامصار

حول الكناس وحول كيس والكسى وكباب كانوني وكاس عقاري

بيت من الكادت سابعها ارى في طيه سرا من الاسرار

هذا اعتذاري لو رأيت قبوله فأسرع به حكما بلا أعذار

ولتعظ عند الذي خفي اسمه لظهوره كالشمس وسط نهار

فبدار ثم بدار نحو رياضه واقرأ سلا في بدا اشعاري

واذا أتيت دياره كبير وتب عني وقل كبرت حول ديري

واشرح له شوقي وما ابديت في خلقي واخلاقي من الاعذار

واذا انتبهت الى مجلس حكمه وشهدت فيها مطلع الاقمار

حيي ابن رحمون وشرعي الما والاحمدين تحية الاكبار

وحقا ان تلي ابا العباس لو جئت البنيقة والأخ البكاري

سلم عليهم ما تمتع زائر الحمرا برؤية قصرها الحزواري

وشهوده شاهد الحسرة بها ومعاهد الآثار والايثار

والشاعر المطبوع فيها منشدا للشعر حول الكاس والاوتار

تغشى حماه في الختام تحية من خله الا وفي ابي جندار

قد لاح نور الحق والانصاف وبدا لنا من أفق ذا الانصاف

حيا فأحيانا بثغر باسم يزهو بشكل كامل الاوصاف

فاليكه مني هدية منصف لك خير منتصف وخير مصاف

فأنظره نظرة مخلص لعينه ان كنت ذا قلب سليم صاف

اذا ما حل خطب او عناء ولم ينفعك قصبا في دواء

فقل والدمع يقريه البكاء رسول الله قد عز الدواء

وجسمي كله مرض وداء

رسول الله اني ضقت وسعا وقد لسعتني الايام لسعا

وجلني جف اذ لم يبق دمعا رسول الله اني ضقت ذرعا

وحل اليأس وارتحل الرجاء

رسول الله كيف بضيق وسعي رسول الله كيف يلبق لحمي

رسول الله كيف يجف دمعي رسول الله كيف يضيق ذرعي

ولي في ذلك الاحمى احتماء

رسول الله داركني بعزم واعرب فعل اقامي بجزم

وكل لاسمي ووسي ثم رسمي رسول الله داو عليل جسمي

فأنت طبيبه وبك الشفاء

رسول الله يا اوفى حبيب ويا نعم الطبيب وخير طبيب

شفاءي ارتجي بك عن قريب رسول الله ما لي من طبيب

سواك وأنت لي نعم الدواء

هنيئا ان تعرك في انام وبدرك قد تحشى بالوسام

وفخرك لا يام ولا بدائي وبدرك في سما الضياء سام

وسامك فوق صدرك قد ندى كجوهرة ولكن في عنقاء

تبدى بين اخوانه ظللنا وسام في وسام في وسام

فهذا اليك ترصع باللآلي وذلك مطوق طوق الحمام

وهذا همة في الافق لاحت لها تعرف على بدر التمام

وهذا مثل كيس من قدام وما ادريك ما كأس تنام

والا فهو در ومطبوع من الياقوت او حبب الضام

تلألأ نوره كالشمس حتى قمت منه الأهلة في احتشام

تعشق صدرك فهوى انه كما يهوى القبل للسلام

لعمر ابيك انك في البرايا الحق فكل هجاء واحترام

ولا عجب اذا ما كنت أهلا ناهدك اعالي بالمرام

فأنت لنا وحقك خير شبل انى من خير اشبال عظام

وانت لنا وفينا خير كهف كريم من احلام كرام

وانت الفارس المغوار حقا يهزك دائما ذكر الحمام

وانت القائد الحامي المحامي وسائلي الضد من كأس الحمام

وأنت الشهم ركاب المطايا مجيد الرمي عن قوس الهمام

وأنت زعيما والقرم فينا وفخر العرب باشانة التهامي

فعلمت على السجايا والمزايا والحروب العالي قبل الفطام

فذاك النفس من يظن شجاع قوي الجأش ملام همام

لذ ما جرت عصيان نمقت تقدم كالامام الى الامام

زعيم لا يتق له غبار بود كريمة وقت الزحام

تبدى من لبان الجود قدما ومنه اليوم يروي كل ظامي

منه ياسيد الحمراء والفخر بشارة الافتخار والاحترام

وشكرا ثم شكرا ثم شكرا لزور السلالة التي تشفي محامي

شفتني بل انعامت بي حياتي كما يحي الريب من العظام

بها في الخادمين علا مقامي فأصبح في الورى اعلى مقام

فدم ذلك المعاني طالعات وكل الناس من سامي وحامي

ودمت مما عنكم بشعري والختم بالتحية والسلام

وقال في مدح ديوان "الذخيرة للآخرة" للعلامة أحمد سكيرج:

هذا هو الدرر لا جاء في صدف ومطلع البدر لا ما جاء في سدف

هذا هو الشعر بل والسحر خامرنا فاللب في كلف والقلب في شغف

ما شئت من غرر ما شئت من درر ما شئت من ظرف ماشئت من تحف

لافض فوك أبا العباس أحمدنا يامفرد العصر في فضل وفي شرف

وقال مقرضا كتاب "حسن الختام لتحفة الحكام" للمدني بن الحسني:

يا تحفة العصر في بدء وفي ختم ياخير مبتدئ فينا ومختتم

عفوا لئن إسعاف دعوتكم فقد أتى قلمي ينوب عن قدمي

ولتهنأن مع الطلاب قاطبة بختمكم تحفة الاحكام والحكم

ختم به الفتح قد لاحت بشائره والثغر أبدى به افترار مبتسم

فيا بني الحسن مهلا ان حسنكم لنا تجلى بوجه غير ملتثم

لو أنصفوكم للقبتم بصيغة أدم من لما فيكم من أحسن الشيم

وقد كفى ترجمانا عن محاسنكم حبر كبحر بموج العلم ملتطم

لما أكب على التدريس منتقيا من جوهر العلم منثور ومنتظم

حتى غدا آية كبرى وأصبح في دروسه صاحب الرايات والعلم

وصار مرتفعا بالانتصاب على منصة الرفع مثل المفرد العلم

ولم يزل بمتون العلم محتفلا بهمة شرفت من أشرف الهمم

تراه مبتدئا تراه مختتما (ياطيب مبتدأ منه ومختتم)

وقال رحمه الله:

عهدنا مسافرنا جنرالا ولما أتانا أتى مارشالا

لأنه بدر وشأن البدور تزيد وقبل تكون هلالا

فيا من دعته فرنسا مشيرا فعاد وياحبذا مارشالا

ويامن به الغرب في نعمة وكم عنه من نقمة قد أزالا

لأنت المقيم قدمت لنا فقمنا نقيم إليك احتفالا

وقال أيضا:

حي النظام وحي القائمين به من عالم لقن أو فارس بطل

لاتصلح الامة الفوضى وان نبتت فروعها من أصول الساسة الاول

ايه فرنسا للتمدين ماصنعت أيدي بنيك وما سدت من الخلل

كان المشير ليوطي حازما فطنا وقائدا غير رعديد ولا وكل

بنى بعهد اضطراب الامر منفردا من الحماية سرحا شامخ القلل

وكان للمغرب الاقصى به مقعد سارت بشهرتها الاسلاك في الدول

{مساجلة}

قال الشاعر المطبوع عبد الله القباج

مثال الفضل يارب المزايا ويارب السماحة والسماح

بحق الود رشفني بوصل يواصل بين أكواب وراح

وها أنا في انتظارك فلحبذا من دعاك إلى الغذاء مع الملاح

فأجبته بقولي معتذرا، ومن فضله متشكرا:

دعوت دعاك داعي السعد يا من له عذر جلي كالصباح

وددت أطير من فرط اشتياقي وكيف يطير مقصوص الجناح

بفضلك سامح إني مريض وليس على مريض من جناح

ولما علم بعدم التداري، على مساعدته بمزاري، كتب لي في عرض التأسف وقبول اعتذاري،

فقال:

أتاني در فيكم من الرواح فعاد به رواحي كالصباح

وأطربني وصيرني كأني شربت الخندريس مع الصباح

صبوت إلى صباكم غير أني أسفت على معاكسة الرياح

ألا عجبا لدهر فيه أمسى هزار السعد مقصوص الجناح

فهلا قد أخذت جناح نسر فما في الاستعارة من جناح

وعذرك ظاهر لكن أنسي بدونك لا يقارن بانشراح

لأنك للسرور وكل جمع كمال وارتياح في ارتياح

ووجهك   الأحبة كل وقت مراح في مراح في مراح

فدم واسعد أبا جندار وابشر بقرب شفاك ياروحي وراحي

ثم ذيل هذه الابيات بأخرى في رقع شكواه، بخليلنا الشاعر الشنجيطي الذي تخلف بلا عذر عن تلبية دعواه، فقال:

أديب العدوتين إليك أشكو أديبا قد تخلق بالصلاح

محمد الذي يعزى لدينا إلى شنجيط ربع ذوي السماح

دعوته للغذاء اليوم عندي بداري وهي في خير النواحي

فأخلف وعده من غير عذر وقلد فيه ربات الوشاح

وصدت لدا الألي كانوا حضورا بداري مثل بياع (الكواح)

فرب في لومه عني فإني أنبرك في الخصام وفي الص يلاح

ولا تقبل له عذرا لأني عزمت على التدرع بالسلاح

وما وقفت على أبيات شكايته، حتى جعلت لها توطئة من بحره وقافيته ورفعت الكل للخليل المذكور فقلت مخاطبا لسيادته:

خليلي: لا عدمت أخا سماح يسامح أو يعاتب بالصلاح

رأيت الشاعر المطبوع يشكو كأنه مغضب شاكي السلاح

شكا وأنا بريء في العتاب لاكن أرى طبعي يميل إلى السماح

يقول: وعدته بالوصل يوما تبادله به راحا براح

فظل سحاب ذاك اليوم يرجو وصالك في غدو او رواح

ولم ينفك يغري النفس حتى أتاه الليل مسود الجناح

فلام ونام في غم وهم ولما قام قال مع الصباح

أديب العوتين إليك أشكو أديبا قد تخلق بالصلاح

وهذا جواب الخليل، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل

تأمل في القضية خير صاح ولا تسمع شكاية كل لاح

فإن الشاعر المطبوع حقا دعاني للغداء والانشراح

ولكن دأبه في القول مزح معي فحملت ذاك على المزاح

وهبه دعا بجد واهتمام وعزم لا يليط بالرماح

وفي الشعراء أنهم حيارى وقولهم بمنزلة الرباح

ولست بخائض الوادي إلى من يهيم به الحسناء مع الصباح

ولا أدع الشراب إلى سراب فأفعل فعل أصحاب القداح

ولما آل الامر للمراح، والاعتذار بالسراب والرباح، رفعت القضية الى قاضي الشعر أديب فاس، فقلت اليك يا أبا العباس (أحمد بن الجواز)

أبا العباس يا روحي وراحي بقيت أخا ابتهاج وانشراح

أتتك قضية القباج يشكو إلينا صاحبا بل خير صاح

دعاه للغذا معه ولما تخلف عنه في ذاك الصباح

أجاب: لأن دعوته ومن عاده كانا مزاحا في مزاح

وقد حكمت بينهما لأقضي لذا أو ذاك بالحكم الصراح

ولما كنت في الأحكام أقضى قضاة العصر في كل النواحي

رفعت إليك أمرهما لتقضي لكل منهما وفق اقتراح

فقضى وكان في قضائه مصيبا، ثم راجعني بقوله مجيبا

ألاحي في ودادك كل لاحٍ وهل يلحى على عشق الملاح

أمثل لطف مزحك في خيالي وما أحلى مزاحك في المزاح

فبينا الفكر في أخذ وترك لذكراك أمسه عند الصباح

وما برح التفكر فيك حتى أتى منك ابتهاجي وانشراحي

أتى منك القريض فهاج شوقي وذكرني معاهد الانشراح

(وذو الشوق القديم وإن تسلى) يرى عند التذكر غير صاح

يروم الحكم مني في أديب تخلف حيث لم يرم جناح

وحكمك المخلف في انصاف له منه على حكم صراح

فأسندت التحكم لي عساني أوافيكم بها للذنب ماح

فأما الشاعر المطبوع لما تبدى في الحضارة والسماح

فقد أبدى الجميل وما جميل تخلف حاسب دعوى المزاح

فقل الشنجيطي: لم لا توافي وما هذا التجافي عن مراح

أتقصر عن حبيبك حين يدعو كما قصر الحصور عن النكاح

فما هذا بخلق من رجال ولكن خلق ربات الوشاح

وما أبدى من الأعذار احرى به اذ كان من شعرا النواحي

وأما ما رماه به من المزح في إبانه قصد انشراح

فإنا ما سمعنا من رماه كأنه تخلف وعدا لصاح

وقل للشنجيطي: حتم عليه أداء غرامة وفق اقتراح

وذلك ان يجمعنا جميعا بمنزله على كأس وراح

على عود يعيد قديم أنسي وظبي لحظه ياسو جراحي

ورشق رحيق آداب توالت على فكري بأطيب من أقاح

فأما إن دعا الداعي إلى ما يريح النفس من شبق وحاح

فدوني والحلال فإن فيه غناء الحر عن شين السفاح

لحي الله الذي يهوى غزالا ليكحله بميل المستراح

فهل ورد يراد لغير شم ولو بعد ابتسام وانفتاح

فإن يك رأيكم في ذا كرأيي و إلا فابسطوا بسط الخراح

فباب البسط مفتوح لديكم وفي ملح الامائل من يلاح

فكتب بوجندار للقباج بالحكم الذي صدر لصالحه:

ظفرت لك البشارة بالنجاح ونجحك في الورى ضافي الجناح

فقل لي حبذا أنعم وأكرم وقم تدع الندامى لا طراح

وتدع إلى التداني والتهاني بما قد نلت من حكم صراح

بما قد نلت من فضل وفصل على رغم الوشاة مع اللواحي

ونعم الفصل من حكم حكيم قضى لك وفق بل فوق اقتراح

قضى لك وهو فينا خير قاض بما قد جاء في الكتب الصحاح

لتشكر فعله بل فضله إن رأيته في غدو أو رواح

وقل للخصم قم تقضي حقوقا ودع عنك الجدال مع الكفاح

وهات بنا إلى روض أريض يطيب به اغتباقي واصطباحي

على نغم المثالث والمثاني وتصفيق الغصون مع الرياح

على صدح البلابل حيث تشدو وتشكو بالعبارات الفصاح

على نهر كقلب الحب صاف مصاف بارد عذب قراح

على ورد الربى من بين زهر بسيم الثغر مفتر الأقاح

ومن بين الحبيب ولا رقيب سوى ما كان من كاس وراح

فإن وفى بذا فالأمر باد وإلا فالسلام على السماح

فأجابه الشاعر القباج :

ألا يا صفوة القوم الصباح وخير ذوي النجابة والنجاح

ويا بدر المعارف والمعالي ويا أنس ابتهاجي وانشراحي

لقد بشرتني بالنصر صبحا وما أحلى تباشير الصباح

فيا لله من حكم صحيح غدا يزري بمختار الصحاح

نصرت به على من قال: قولي مزاح في مزاح في مزاح

على من خالني جهلا بحالي شبيها بالسراب وبالرياح

أديب العدوتين: وليس بدعا وقدحك في العلا أعلى القداح

أحلت الحكم فيه على أديب حري باستداحك وامتداحي

قضى بالعدل فيه كما تراه فلاح العدل من أهل الفلاح

وذلك شانه في كل حكم وشان ذويه أرباب الصلاح

وشأنك أيها الشهم المفدى بأهل الفضل والغر الملاح

فكم بالعدل أغنى من فقير وكم بالعلم أحيى من بطاح

ملا بالعدل والعلم النواحي وغيره قد علاها بالنواح

كأني بالغريم أساء فالا بحكمكما وبالقدر المتاح

وخاف من القصاص فقد صبحا إلى فاس بلاد الانشراح

وكيف يفر من حكم بحق عليه به قضى قاضي التلاحي

فأنت وكلينا إن عاد منها عليه وأنت أدرى بالشحاح

وإن وافاك في بعض الضواحي فمره بأن يبادر للضواحي

وإلا قم له واحمل عليه بصمصام اللسان وبالرماح

وفعلك كيفما قد كان يرضي ويحمده اختتامي وافتتاحي

وكتب بوجندار إلى صديقه الشنجيطي:

سلمت سلمت من شر افتضاح فحق الخصم أضحى في اتضاح

تجلى الحكم وانقشعت غيوم ولاح العدل في أفق الفلاح

تأمل منصفا حكم انتصاف فإن الحق أبلج كالصباح

ودع عنك الجدال مع التماري وسامح فالتصافح لا الصفاح

وقل سمعا لما أبداه أقضى قضاة العصر في كل النواحي

وقم هيا بنا لأريض لأريض وحي على اغتباق واصطباح

وجد وقل لنا لبيك أهلا وإياك التخلق بالمزاح

وكتب الشنجيطي مستنجدا برئيس الاستيناف أحمد بن الحواز بأبيات:

رئيس المجلس الأعلى أغثني فقد حكموا ولست بذي جناح

وفي الحكم المسجل ترهات تخالفها المتون مع الصحاح

ألم أك غائبا وله لديهم فصول من شروط واصطلاح

خصوصا والذهاب لربع فاس له وجه ولم يك عن جماح

تمادى القاضيان على ضلال وهما باهتضامي واكتساحي

فكاشحني الغريم وصار يرغوا ويوعد بالرماح وبالصفاح

تأمل في القضية وافصلنها فحكمك لا يعقب بالمزاح

وأجاب ابن الحواز:

وفتني من رباط الفتح خود تغازل صبها شان الملاح

وقد رفعت لنا استيناف حكم على من لم يجب وغدا سلاحي

فطالعت القضية كيف راجت وما فيها من الحكم الصراح

ولبيت استغاثة من ترجي فصالا ضوءه للحيف ماحي

ولكن ما ارتضيت له اعتذارا بحمله للدعاء على المزاح

فذلك فرع إقرار بوعد وليس لموجب الإقرار لاحي

وأن يتحمل الموعود ما لا تحق له مطالبة اقتراح

وحكم إجابة الداعي شهير ونصه في أحاديث الصحاح

وأن يدع المعين لم يسعه سوى حسن الزيادة بانشراح

وجبر خواطر الأحباب أمر به تقضي الشريعة دون لاحي

وعذر المزح لغو ما سمعنا ثبوت الحق يسقط بالمزاح

وحتى إن يكن في بيت داع مزاح خف فهو على السماح

فراجع ما أشار له خليل بحيث يقول مع لعب مباح

وأما العذر عن سفر بوجه فمحتاج لإثبات صراح

بلى وإذا الأدلة قد تقوت فكيف يسوغ ترخيص انفساح

فقل للفاضل الشنجيطي اقبل قضاء لم يكن به من جناح

وأهل المجد إن مالوا لصلح فطبع المجد يؤذن بالصلاح

وقل لهما: أما الإيثار يسمو بأهل البر عن وصف الشحاح

وكل منكما ود أديب لنهج مكارم الأخلاق ناحي

فعودوا للتزاور عن نشاط وفضل أخوة بذل الكفاح

فإني لست أرضى من حبيب يصير لحبه شاكي السلاح

وكيف بذلك المطلوب وافى لفاس وهو لم يقدم لساحي

ألم يعلم بأن الود ينمو ولو سبق اللقاء على جناح

فهذه قصة أخرى عليه بها حق يوفى بارتياح

ومنا أطيب التسليم عرفا على أدباء هاتيك البطاح

فأن المصر بالشعراء ينمو كما بالخصب تبتهج النواحي

أدام الله سلوتهم ووفى مقاصدهم بإقبال النجاح

وقال رحمه الله:

حنانيك لاتعتب فعذري ظاهر وإني على عتب الزمان لصابر

لئن غبت حتى في العيادة عنكم فمثلي معذور ومثلك عاذر

كلانا عليل عجل الله بالشفا وكل عليل للعليل مؤآزر

على ان تذكاري لشخصك لم يغب وحقك عن قلب به أنت حاضر

فسامح وسل عني فؤادك انه باخلاص ودي نحو شخصك شاعر

ولا تيأس وأسأل من الله عفوه عسى الله يشفينا وربك قادر

فأجابه الشاعر المطبوع عبد الله القباج

وعيشك لم اعتب لأنك حاضر بقلبي وان تاقت اليك المحاجر

ولكن من مرت ثلاثة أشهر على سقمه اقصى أمانيه زائر

فعذرك مقبول وعذري ما ترى وأعذرنا من جانبته المحابر

وانا معا مرضى ولكن لأجلكم مرضنا كما تنبيك عنه الضمائر

فان أنت قد شوفيت قبلي وذاك ما نحب فعذني ان قلبي طائر

وان كانت الاخرى أتيتك زائرا فتشفى لأن الكل باللطف شاعر

وأحس من هذين يذهب سقمنا جميعا وتأتي الكل منا البشائر

منانا من الرحمن هذا وانه مجيب دعا مثلي ومثلك ناظر

وكتب للشاعر محمد الجزولي بعد عزله من وظيفته سنة 1923 :

أرى دهري يصافي من أعادي ويجرح في أحبائي فؤادي

فهل حظي السعيد غدا تعيسا فعاد لي الزمان من الأعاد

يعادي من أحب جزاء حبي ويهوى رغم أنفي من أعادي

فيا دهري لحاك الله مالي أراك ضللت عن نهج الرشاد

فما أنا ظالم بالحب لكن خطبت وداد من خطبوا ودادي

ومن خطأ تعديت المعادي إلى الأحباب من أهل الوداد

أصبتهم بسهم ذي نفوذ وماله غير قلبي من نفاذ

أصبتهم، وقلبي بالسويدا يفديهم وعيني بالسواد

وقال لما عين الشاعر محمد البيضاوي الشنقيطي وهو احد أصدقائه في دائرة القضاء ببني ملال، مما ألزم الشنقيطي بالابتعاد عن جماعة النادي، فما كان من محمد بوجندار إلا افرغ عواطفه في مقطعة، تعبيرا عن مشاعره الاخوية يقول:

وداعك عندي يا أعز أحبتي وداع به ودعت قلبي ومهجتي

قضى الدهر فينا بالتفرق بعدما قضينا زمانا في وصال وألفة

فلا سامح الله (القضاء) ومن قضى علي كما شاء النوى في القضية

فلولا القضا ماحرك الوجد ساكني ولا هاج أشجاني وكاس لوعتي

ولولا القضا ما كنت أعتبر النوى ولولا النوى ما جاد طرفي بعبرة

لك الله من خل أودعه غدا وأودعه روحي وتلك وديعة

عليك سلام الله ماهب الصبا وما حملت مني إليك تحيتي

وهذا جواب الأديب الشنجيطي قال:

أثار النوى حزني وهيج لوعتي ولكن لي أنسا بتلك الوديعة

تعددت الأجسام والروح واحد سيبقى لخلي لو يسير بجثتي

تحمل: أبا عبد الإلاه فإنني سأرجع من بعد انتزاحي وفرقتي

وأحفظ عهدا طالما قد ربطته بحبل وثيق في حضوري وغيبتي

واشكرك الشكر الجزيل وكيف لا وأنت الذي طوقت جيدي بمنه

وآويتني حتى استقامت مكانتي حتى نسيت النائبات بغربتي

عليك سلام طيب متضوع يحاكي شذا أخلاقك العنبرية

وليلة حالكة الظلماء ناجيت فيها قمر السماء

فقلت يابدر أنا حزين وأنت لي تجلى بك الشجون

مهلا على رسلك في مسراك فإنني آنسني مرآك

ولك مني عاطر السلام يامؤنسي في وحشة الظلام

ايها البدر أنت الظل من كوى الافلاك كأخذ يطق من ثناك

بلى فأنت مثل الامير جلست للفصل على السرير

وهذه النجوم من رعيتك سائرة ساهرة في خدمتك

ولا أرى كواكب الجوزاء عندك الا مثلما الاماء

اني أراك في السما فريدا كما تراني في الورى وحيدا

تبرز لي في هذه الدياجي لنتعاطى قدح التناجي

وتقطع الليل حزينا ساكنا كالسر في صدر الظلام كامنا

وتنى مثلك في ذب الأرض رفقا قيمتنا شبيه البعض

تالله ما عرفت قبل ما هوى ولا دريت ما تباريح الجوى

ولا تجرعت كؤس حجر ولا بلاني شادن بعبر

حتى رأيت في السماء ووجهه المنير في الظلماء

يتيه في الحسن محيا بدري كلا عن الشبيه جل (بدري)

ان كنت أنت تزعم الجمالا وفي السناء تدعي الكمالا

فان (بدري) في الورى الاجمل منك محيا وسناه أكمل

بل ان نورك انى من نوره ولست الا من عبيد ثغره

لولاه ما ارتقيت فينا قدرا كلا ولا شيت فينا بدرا

عيد كبير قد تحلى في الورى لاكن عودك جاء ضيفا اكبرا

عيدان بينهما وبين سواهما في القدر ما بين الثريا والثرى

عيد وعود بالسعود بدارنا قد زاد بحسنهما الجناس كما ترى

ان كان نورهما تلألأ وازدهى وزها فعودك كان ازهى ازهرا

أو كان ذلك فالعيد حقا باهرا فقدومك الابهى تراه ابهرا

بشعري تقدمك السعيد وعيده أو ما به قال البشارة خبرا

حتى الصبا عند الصباح تنبأه وشدا الهزار مهنئا ومفخرا

يتلو عبارات الهنا بقدره من فيه اعجز المدح لمن اصغرا

مولى تكون من مفاخر معشر قد زاد فخرهم فكان الافخرا

لو كان للبدر المنير كماله ما ساقه نقص الكمال اذا سرى

لو كان للشمس المضيئة بعض ما له من صفات الحسن لن تكدرا

فرد تجمعت الفضائل عنده (والصيد كل الصيد في جوف الفرا)

كم حاول القوم الفحال به فعا   دوه كلهم متقهقرين الى ورا

والقرن كم رام التقدم ملاحة   بالعين نحو مقامه فتأخرا

واذا انبرى او ما درى ان العا   مة في تقرى فقتاله (اطرق كرا)

يا حاجب متولى الامير وخير من   عيني تفديه درى أو ما درى

وأجل من جمع الرياسة والكيا   سة والسياسة والقراءة والقرا

قد عين عنا فاصطبرنا لنوى   ودرى الرباط مثيبكم فتكدروا

حقا على باريز اذ كنتم بها   تزهو على كل الحدائق والقرى

شرفتها بزيارة وكسوتها   ثوب الفخار مرصعا ومجوهرا

ولربع فمشي ان نحو ذيوانه   فخرة بمقدمكم وان يفتخرا

طوبى له ولماته ماء الحيا   ة وتربه إذ صار مسكا اذفرة

لما شفيت به وحيث ملما   ورجعت فينا ضاحكا مستبشرا

فأبشر بصحتك فاني ترجو لها   حسن المزيد من السلامة والثرة

واهنأ بعودك ثم عيدك انه (عيد كبير قد تجلى في الورى)

وبعث بهذه القطعة لصديقه الشاعر المطبوع رحمه الله:

خليلي ضاق عن صبري النطاق وشوقي نحو شخصك لا يطاق

فهل يوما نعود إلى التداني ويجمعنا اصطباح واغتباق

وهل لي في وصالك من سبيل يوصلني فقد طال الفراق

وهل لي ان اسير على جفوني إليك وقد تعذر بي انطلاق

بلى ما انفك بي مرضي كأني أسير لم يفك له وثاق

بفضلك زد وشرف ثم شنف مشوقا لا يفارقه اشتياق

فأجابه:

غرامي حيث أوله اشتياق ونار الشوق يعقبها احتراق

ومهما كان شوقك لي عظيما فشوقي دونه السبع الطباق

ولكن ما احتيالي في قضاء تسبب عنه لي ولك الفراق

وصيرني بعيدا رغم قربي إليك وأنت خانتك العتاق

أحاول أن أزورك كل يوم فيمنعني من الألم الزقاق

عجيب للسقام هوى حمانا وطاب له بمنزلنا العناق

طغى وبغى ولكن عن قريب ستقطع رأسه البيض الرقاق

فقل للحاسدين لنا جميعا ومن بقلوبهم سكن النفاق

فليس الشمس يفنيها اصفرار وليس البدر يمحقه المحاق

وكم شد الزمان على نحيف وثاق السقم فانحل الوثاق

كذلك ثوابت الأفلاك ليست تزول وليس يعروها انشقاق

فصبرا يا شقيق القلب صبرا فسوف عليك يتسع الخناق

وسوف أعودكم يوما صباحا على قدمي ويجمعنا الرواق

ولولا أن في رأسي صداعا مشيت به كما فعل الرفاق

ولا تفزع ولا تجزع فإني عهدتك لا يضيق بك النطاق

وقال الشاعر المطبوع الاديب عبد الله القباج

يا من له خلق من أطيب الخلق تحكي رياض الربى في طيبها العبق

قد جدتم بالقرى والجود شيمتكم كما روينا احاديثه من طرق

جئنا نلبيك والاشواق تحملنا على جناح الخطا وكاهل العنق

ولو تمكن سرنا نحو مجلسكم سعيا على الخد بل سعيا على الحدق

اكرم به مجلسا جاد الزمان به والشمل منتظم فيه على نسق

حيث الاحبة في أنس وبينهم ظبي كانه بدر التم في الافق

حيث الحبيب ولا واش ينم سوى ما فاح من طيبه الاذكى لدا العرق

حيث المثاني تغنينا مثالها كأنها الورق بين البان والورق

حيث الرباب وحيث العود في طرب والبوق في خفق والطار في قلق

حيث المدام مدام الحب صافية طاب الغبوق بها لكل مغتبق

لنا تجلت وشمس الحسن مشرقة (وليس غير دخان الند من غسق)

ولم نر الليل الا في ذوائب من لاحت على وجنتيه حمرة الشفق

ولا الكواكب الا في الحباب طفا على نضار الطلا في اكؤس الورق

فاغنم فهذي رياض الانس زاهرة وارتع بها واقتطف ما شئت وانتشق

ونزه العين في وجه الحبيب تجد في طلعة الشمس ما يغني عن الفلق

واشكر صنيع اديب في ضيافته فقد اردت اجازيه ولم اطق

وقل له انني خلدت شكركم بصفحة القلب لا في صفحة الورق

فقال بوجندار مجيبا

يامن محياه يحكي البدر في الافق وخلقه كرياض زاهرا تق

حل السرور بداري اذ حللت بها كالراح في الجسم او كالنور في الحدق

واشرق النور في اكنافها وسرى منها الضياء على الارجاء والطرق

وفاح منك الشذا فيها ولا عجب فطيب الاصل يهدي الطيب في النطق

وراية البشر والافراح قد خفقت على ذراها وعنها غاب كل شقي

بشراك يا دار انت اليوم ضاحكة وكنت بالامس في هم وفي قلق

فرحبي وافراحي بالزائرين فما كاليوم يوم سعيد بارق الفلق

بل يوم وصل ويوم الوصل يطفي ما بالقلب من لوعة الاشواق والحرق

بل يوم عيد به الافراح قائمة من الصباح على ساق الى الشفق

يا أيها السادة الغر الذين هم مسك وغيرهم ضرب من العلق

لقد تمنيت ان لو كان يمكنني قراؤكم بالذي في الارض من ورق

ومن شياه ومن نوق ومن درر ومن يواقيت تحكي البرق في اللهق

فسامحوا واقبلوا الموجود واحتفظوا بالخبز عند افتقاد اللحم والمرق

اذ انتم اهل اطعام واهل قرى رمادكم طبق في الغرب عن طبق

ولو اردت بان احذو صنيعكم عند القرى لم احاكيكم ولم أطق

وتلك عادة من رام التشبه اذ ليس التخلق في الاشياء كالخلق

فلا برحتم مدى الازمان في فرح وفي هناء وعيش أرغد غدق

إني أراك في السماء فريدا كما تراني في الورى وحيدا

تبرز لي من هذه الدياجي لنتعاطى قدح التناجي

تقطع الليل حزينا ساكنا كالسر في صدر الظلام كامنا

وانني مثلك في ذي الأرض رفقا فبعضنا شبيه بعض

وقال رحمه الله يمدح مدينة مكناس:

مكناس ليست لو ترى حجراتها   إلا كناسا للظبا ومهاتها

بلد بها يأتي إلى المضنى الشفا   ياحسرة المضنى إذا لم يأتها

طاب الهواء مع الهوى في حيها   والماء كالصهباء في كاساتها

وقال:

بنت الصباح أم ابنة البكاري قد بكرت كالطير في الأبكار

زفت عروسا لاتوازيها عروس ولا بكر من الأبكار

زفت عروبا في العروبة طاب لي معها الوصال وطاب خلع عذاري

نور على نار فكيف تجمعا عجبا لأنوار البها في النار

يا حسنها والحسن بعض صفاتها من غادة تسمو على الأقمار

عذراء في شرع الهوى عذرية فلذا أتت بمحاسن الأعذار

لما تخلف موعدي عن زورتي مراكش الحمرا مع الزوار

ورأت خليلي الشاعر المطبوع قام معاتبا بلطائف الأشعار

قامت تقود بشعرها وشعورها عن حوزتي وشعائري وشعاري

وغدت تغالط بالسؤال ترجيا وتقول أينك يا أبا جندار

يوم به الحمراء تبصر شمسكم يوم منير بين الحقدار

فمتى يبشر بالشفاء حبيبكم وبزوال توب بالضعف والاضرار

ثم انشئت تتني وطورا ترتجي لي ما أنا ترجوه من أوطار

الله يا بنت الصباح سحرتني بتعطف وتلطف سحار

وملكت رقي في الهوى وانه الذي برقائقي حسن من الاحرار

شكرا فما في عواطفك التي جلت مع الاثار والانهار

شكرا جزيلا بها لعواطف مثل النسيم يهب في الاسحار

وعواطف الاخلاص خير صحبة جبلت عليها انفس الاخيار

أما اشتياقي نحو حمراء البلا د فكاشتياق الروض للامطار

جوانحي وجوارحي كهبوب جذوة نار

بل شب عن عنوق التصبر عزه وزناده زيده دون قدح وار

جمع الاله الشمل جمع سلامة بالرغم عن زمن النوى الغدار

وشفا اعتلالي كي أرى نجمي المحتيل مع الأهنة ساطع الانوار

والنوم من حيني لا تجز موعدي عند انقضاء فصل الشتاء الجار

ما يحيينا الربيع وزهره بمباسم الازهار والاسرار

ونرى الثرى وعلى ذراها حلة من سندس وشقائق وبهار

وحدائق الازهار صاغت حليها من فضة وزبرجد ونضار

والطير يخطب في منابر غصنها يدعو الندامى لارتشاف عقار

يا ليت شعري هل زماني بالاما ني معدي ومساعدي بنار

أرجو الالهي والرجاء كرقية تشفي لومي تارة واوار

ومناي كل مناي أصبح في رضا بنت الصباح وربها البكاري

ذاك الاديب اللوذعي مساجلي والمحرز القصبات في المضمار

يا من يعاملني كؤوس مودة قد أسكرتني ايما اسكار

قلبي وافيك في المودة واحد وبينك قلب الكل في اشعار

فاليك عهدي انني باق على ودي الصراح ولست فيه مدار

واليكها هيفاء تحملها السعا دة كالهدية من أبي جندار

وقال في مدح الجنرال ليوطي:

ما للرباط مؤرج الثغر والانس فيه باسم الثغر

ولم الغمام اتى الربى فبكى حتى غدت تفتر عن زهر

ولم النسيم تعطرت سحرا أذياله كالعنبر الشحر

ولم السماء سمت مجرتها وتزينت بالانجم الزهر

ولم الدنا اخضرت جوانبها لما غدت أنهارها تجري

ولم الصباح اذا الصباح اتى هبو من الاوكار كالطير

يتسابقون إلى الصبوح وكم وصلوا الغبوق به إلى الفجر

ولم المدام طفت بها حبب كحصى من الياقوت والدر

رقت ورق رواؤها فلذا لم ندر أين الكأس من خمر

ولم الوجوه تهللت فغدت كالزهر او كالزهر في بشر

والقوم من طرب كأن بهم سكرا وماهم من ذوي السكر

قل لي بعيشك هل لذا سبب احكيه في نثري وفي شعري

أم جاد بالحسنى لنا زمن أم عاد عيد الفطر والشعر

أمشيرنا البوطي عاد لنا يختال في حلل من الفخر

لما شفاه الله من مرض أفضى بشأنينه الى القبر

قد عاد تصحبه قرينته كالنيرين الشمس والبدر

قد عاد تحمله لعاصمة سيارة كالطير في السير

بل عاد يحمل خير عاطفة حراء لا تخشى من الحر

وعزيمة كالسيف ماضية بنفوذها تسطو على الصخر

كم ذللت صعبا وكم رتقت فتقا وكم جبرت أخا كسر

يا أيها البطل المشير ومن وافى معافى الجسم والفكر

يامن أتى باريز منتجعا للبرء مشتفيا من الضر

ان غبت عن أبصارنا فلأ نت لدى البصائر حاضر الذكر

وعلى الجوى طويت جوانحنا من شوقك المتوقد الجمر

والقلب حول حماك طائره أنى تسير يطير كالنسر

والكل منتظر تعود لنا يرجو لقاك بفارغ الصبر

ولقد أتيت لنا فيا طربا بقدومك الميمون الغر

ولقد أتيت وأنت في دعة تبدو عليك علائم البشر

فليهنأ المولى الامير ابو يعقوب يوسف مالك القطر

وليهنان الغرب أجمعه ولتهناء الدنيا مع الدهر

ولك البشارة يابشير بنا قد نلت من بره ومن بر

ولك الهناء بما تناله من طول البقاء وفسحة العمر

واليك مني تهنئة باسم الرباط وآله الغر

خذها عروسا بنت الحها عذراء من أهل الهوى العذري

حتى اذا رمت القران بها   فقبولها يكفيك في المهر

تالله ما عرفت قبل ما الهوى ولادريت ما تباريح الجوى

ولا تجرعت كؤوس هجر ولا بلاني شادن بصير

حتى رأيت قمر السماء ووجهه المنير في الظلماء

يشبه في الحسن محيا بدري كلا عن الشبيه جل (بدري)

وليل به ليلى أرقني طيفها فكنت كما شاء الغرام من الزهو

أميل من التذكار طورا وتارة يناولني كف السها قدح الصحو

كلا وهل قد دعاك داعي إلى اختلاء مع الحبيب

في غير ربعي وغير جمعي هذا لعمري من العجيب

بنت الصباح أم ابنة البكاري   قد بكرت كالطير في الأبكار

زفت عروسا لاتوازيها عرو   س ولابكر من الأبكار

زفت عروسا في العروبة طاب لي   معها الوصال وطاب خلع عذاري

نور على نار فكيف تجمعا   عجبا لأنوار البها في النار

ياحسنها والحسن بعض صفاتها   من غادة تسمو على الأقمار

عذراء في شرع الهوى عذرية   فلذا أتت بمحاسن الأعذار

تالله ما عرفت قبل ما الهوى   ولا دريت ما تباريح الجوى

ولا تجرعت كؤوس هجر   ولا بلاني شادن بصير

حتى رأيت قمر السماء   ووجهه المنير في الظلماء

يشبه في الحسن محيا بدري   كلا عن التشبيه جل (بدري)

وليل به ليلي أرقني طيفها   فكنت كما شاء الغرام من الزهو

أسيل من التذكار طورا وتارة   يناولني كف السها قدح الصحو

كيف الثناء على الذي من نوره كل البرية إنسهم والجان

وهو الذي وجد الوجود لأجله لا جنة لولاه لا نيران

بل لم يكن لوح ولا قلم ولا عرش ولا كرسي ولا ميزان

كلا ولا نور ولا حلك ولا فلك ولا ملك ولا شيطان

يا أهل مكناسة ما بال ضيفكم قد بات في ظمأ والجوع شامله

هل ليلكم ليل صوم تعرفون به والصوم في شرعكم حتما نواصله

أم ذا جزاء أديب حلف ودكم قد زاركم وجناح الشوق حامله

أين ابن زيدان مقري الضيف أين أبو العباس قاضيكم وأين نائله

قالوا بفاس فهل من مبلغ لهما بأن ضيفهما الإيحاش قاتله

آوى إلى نزل أمسى ينازله بجيش حرب من البرغوث آكله

آوى إلى حيث لاماء ولا مرق ولا جميل ولاخل يجامله

وحيث سرب من الناموس في هزج وقرصه وافر والرقص كامله

وقال مجادلا ومساجلا شيخه البلغيثي:

ليت شعري هل لانتصافي طريق فطريق الجدال عنه تعوق

رمت عند الجدال تحقيق حق فإذا بالجدال ضاعت حقوق

يالقومي هل منصفي في أديب ماكفاه التوقيف والتوفيق

ماكفاه ماقلته في البراعي من قياس ولي دليل وثيق

ماكفاه التسهيل فيه دليلي وهو سهل لديه بل مطروق

ما كفاه إذ قلت إني محق في الفواقيع والفقاعي صدوق

ليوم مولده قد عز تمثيل له على أفضل الايام تفضيل

يوم أغر ازدهى باليمن طالعه وزان غربنا الغراء تبجيل

الحسن كله والنور كماله كأنه فوق عام البدر اكليل

ياحسن مولده وحسن موسمه كأنه في جبين الدهر تهليل

ويالها ليلة حسناء قد شرفت بشأنها الكل مشغوف ومشغول

كم مادح بات مثل الطير ينشدها فراقنا منه ترتيب وترتيل

وشاعر جاك من برود صنعته حلى مديح لها ياله تكليل

حتى الملوك تغالوا في لحاظها حيا فلكل تنوبه وتنويل

لاسيما ملك من خير أبرتهم على الندى وأبدى والبر مجبول

أعني أبي الحسن والاحسان يوسف من له من الكل تكريم وتبجيل

ذاك الأمير الذي قد اذهشت وعنه لسيف سطوته الشم البهاليل

واستبشرت كلما تبدو بشائره بحسن عطفته الغر الامائيل

أكرم به ملكا لا مثل دوحه في مين الجود تفريع وتأصيل

كم من فقير عليل عاد مشفيا اذ جاء وهو بدأه الفقر معاول

وان تجد ياباديه يداه فلا تعجب ذا استجى من نيله النيل

ناهيك من ليلة أقامها فقدت ليلا تجانس فيها الطول والطول

أفاضها طبق ما يشاء فابتهجت بها اناس ففاضل ومفضول

جرا لها متقدمين يقدمهم جميع بادية العلوم مشغول

خلوا بقصر مشيد راق منظره كأنه من جنان أخلد منقول

حيث الحديث وحيث العلم يدرس ما تشاء منه منقول ومعقول

هناك يعبق مسك الختم في أرج يؤرج الروض فسيحا وهو مطلول

حيث الأناشيد بالانشاد تطربنا بها تشنفت للآذان كاللؤلؤ

حيث القصائد تتلى مدنية ولها في الذوق منا حذاق وهو معسول

حيث المدائح ترويها مروقة كأنها منهل بالراح معلول

حيث المنائح تغشي الحاضرين فكل عايد وعد بالصلات موصول

حيث للأمير أمير المؤمنين له بكل من جاء ترحيب وتأهيل

يبدو كأنه في سماء محله بدر عليه رداء النور مقبول

يحفه أنجم من نوره يهتدا وقد علاهم من الوقار تظليل

من لي بسرب قطا يطير بي وأنا على جناح من للأشواق محمول

حسبي التشرف بالاشراف نحوهم ولي من الراحة السمحاء تقبيل

نعم وان فاتني فلم يفت قلبي من وصفه ببديع الشعر تكميل

لتهن سيدنا فالعيد في شرف والسعد في ترف والعود مأمول

وليهنك الدهر فالايام مقبلة وما تشاؤه مقبول ومكمول

ما للطبيعة حسنها فتان وربيعنا كربيعها هتان

وكلاهما زمن أغر محجل منه استعارت حسنها الازمان

لاكن ربيع النور زاه زاهر زهرت بطلعة نوره الأكوان

واذا زها فصل الربيع بزهره فربيعنا أزهاره ألوان

أو ما ترى روض المسرة ورده وافى للثم خدوده النعمان

فتخاله وعليه منثور البنف سج وجنة لاحت بها خيلان

وكأن نرجسه خديم قام عن ساق وعهدي طرفه يقظان

لاكنه دب الفتور بجفنه فأتى الرياض وجفنه وسنان

والبان مائسة القوام كغادة قامت وعطف دلالها نشوان

أعطافها بالدر وشحها الندى والزهر فوق رؤوسها تيجان

والنهر طرس سطرته يد الصبا كتبت عليه فنها الأفنان

والطير تقرؤه بلحن معرب يا للنحاة.. أتعرب الألحان؟

كلا ولكن لحن مدح –محمد– كم زانه الإعراب والميزان

ولطالما العشاق جروا ذيلهم رحلت بمايتهم لنا أوزان

هذا حجازي وذا في طبعه مثل العراقي الرصد والزيدان

وإذا استهل غريبة فتخالنا سكرى ولكن مابنا سكران

فصبو كأن نشيدها ريح الصبا من لطفه وكأننا أغصان

ياصائغا در المديح أجد وجد ودع النسيب فللنسيب أوان

هذا الأوان أوان مدح محمد ولم الهوى إن الهوى لهوان

كل الشفا يامن أراه على شفا في مدح من أمداحه سلوان

أمداحه أسمى وأسنى رقية تشفى بها الارواح والابدان

شنف بها سمعي فكل جوارحي عند السماع لمدحه آذان

وانظم شتات الدر من أوصافه إن لم تضق عن نظمها الأوزان

وهل اليراعة والبراعة أن تفي بصفاته ولو أنني سحبان

كلا وهل شعر يحيط بمدحه ولو أنني الجعدي أو حسان

هيهات هيهات الثناء على الذي أثنى على أخلاقه القرآن

كيف الثناء على الذي من نوره كل البرية إنسهم والجان

وهو الذي وجد الوجود لأجله لا جنة لولاه لا نيران

بل لم يكن لوح ولا قلم ولا عرش ولا كرسي ولا ميزان

كلا ولا نور ولا حلك ولا فلك ولا ملك ولا شيطان

نطق الحديث بذا وذلك شائع أنى يطيق جحوده الإنسان

وحديث مولده حديث مرسل كم شنفت بسماعه الآذان

سيما بليلته التي شرفت بها وبيومها وبشهرها الأزمان

أعظم بها من ليلة ليلاء قد سارت بذكر حديثها الركبان

قامت لها الدنيا على ساق وكم طربت بها فاهتزت الاكوان

وكذا السما أظلت وحق لها نش ط من الهواتف والهتاف عنان

واضاء من بصرى ذراها وانطلقت لما بدت أنوارها النيران

والماء أصبح قاضبا من ساوة ابن البحيرة خانها الفيضان

وتفرس الفرس الشقاء لما رءا ه وقصه لحكم أنوشروان

وتضعضع النادي الى أن شق عن كسرى فلا إيوان لا إيوان

وتنكست اصنام مكة خشية لا عابد كلا ولا اوثان

والشرك بعد تردمت اجراسه وتهدمت من دينه الاركان

لم يبق الا الحق ابلج واضحا قام الدليل عليه والبرهان

فلذاك قمنا اليوم نحيي ذكره وتقيم تذكارا له إعلان

هذا بمسجده وذاك ببيته والكل يطمح حيثما السلطان

حيث الأمير أبو المحاسن يوسف متهجد متواجد جذلان

تعلوه من سيما الوقار مهابة ضربت عليه كأنها صيوان

تغشى حماه نفحة قدسية قد شم من أردانها الرضوان

حتى تخال بأنه في جنة وبأن حاجبه الرضى رضوان

وبأن حضرته سماء قد سمت فانحط دون سموها كيوان

وهبت لها الجوزاء عقد نجومها حليا فغار الدر والمرجان

واذا رأيت رأيت ثم نسيمه ومن النعيم الروح والريحان

ورأيت أنوار النبوءة والهدا ية مشرقات كلها لمعان

ورأيت طلعة يوسف في حسنها كالبدر ليس يشينه نقصان

ورأيت حاجبه وقرة عينه بين العيون وكلهم أعيان

أعيان دولته وأوجه قومه وكماته وحماته الشجعان

من بينهم وزراؤه وقضاته والآل والكتاب والاعوان

باتوا جميعا يمرحون ويمدحو ن ويصدحون وصوتهم رنان

باتوا في حضرته وهم في خشية يغشاهم من وجده وجدان

فتنتوا لعزته كما هو فاتنت لعزيزه وكما يدين يدان

من لي أطير على جناح تشوقي فأنا العليل وقلبي الضمآن

لكن إذا فات الحضور فلم يفت ني من بياني الوصف والتبيان

أدنو به وأدين من دانت له كل الرقاب يقودها إذعان

ملك اذا ما رمت من أوصافه فالحسن والتحسين والإحسان

قد نال في حجر الخلافة سؤددا ما ناله المنصور أو زيدان

وأقام للإصلاح دولته كما كان الرشيد وقبله مروان

والمغرب الاقصى ارتقى بسياسة ماساسها كسرى ولا خاقان

والعصر قلده تقاليدا بها قد أشرق التمدين والعمران

والعصر نراه بالمدارس زاهر فالعلم أنى جئت والعرفان

والملك ابهة له وجلالة وعوائد ما اعتادها سلطان

وكفاك حفلته بذكرى مولد في ليلة احياؤها إيمان

فليهن سيدنا الأمير بعيدها وبما حباه من الرضى الرحمان

ما عاد عيد أو تضوع عوده وترنمت من عوده العيدان

وازدان روض وازدهى بمحاسن وأحاس لم يحكها عقيان

فتنت عقول ذوي النهى فتساءلوا ما للطبيعة حسنها فتان

أكرم به مجلسا جاد الزمان به والشمل منتظم فيه على نسق

حيث المثاني تغنينا مثالثها كأنها الورق بين البان والورق

حيث الرباب وحيث العود في طرب والبوق في خفق والطار في قلق

وقال أثناء زيارته لضريح سيدي عبد القادر العلمي بمكناس:

هذا المقام مقام العارف العلم بحر الولاية عبد القادر العلمي

غوث الورى غيثهم هادي الهداة ومن اضحى كنار القرى ليلا على علم

حل الرجا ولذ بساحته فإنه حامل الرايات والعلم

وعفر الوجه والثم تربه وبه ومااله من كرامات ومن كرم

إضرع إلى الله واسأله مثوبة ولاتكن صادرا عن ورده الشبم

كم خامل كان بالتفكير منخفضا فصار مرتفعا كالمفرد العلم

وكم عليل غدا يرجوا الشفاء به فعاد مشتفيا من كل ما ألم

وكم عبوس من الخطوب منقبض يكاد يقضي الأسى عليه بالعدم

أضحى له الدهر رحب الصدر منشرحا يفتر في وجهه بثغر مبتسم

وقال أيضا رحمه الله

هدية فرجت عني أتراحا وانعشت بالشذا مني أرواحا

ياحبذا باقة الأزهار جاء بها مبشري فأثار القلب أفراحا

ولاعجيب إذا ما ارتاح قلب فتى من بعد ما فقد الابلال والراحا

شكرا لفضلك أيها المبشر عن بشراك شكرا لنفح الطيب قد فاحا

جمع الإله الشمل جمع سلامة بالرغم من زمن النوى الغدار

وشفا اعتلالي كي أرى نجمي الضئي ل مع الأهلة ساطع الأنوار

وأقوم من حيني لأنجز موعدي عند انقضا فصل الشتاء الجار

لما يحيينا الربيع وزهره بمباسم الازهار والانوار

ونرى الثرى وعلى ذراها حلة من سندس وشقائق وبهار

وحدائق الازهار صاغت حليها من فضة وزبرجد ونضار

والطير يخطب في منابر غصنها يدعو الندامى لارتشاف عقار

ياليت شعري هل زماني بالأما ني مسعدي ومساعدي بمزار

أرجو إلهي والرجاء كرقية تشفي أوامي تارة وأوار

رسول الله قد عز الدواء وجسمي كله مرض وداء

رسول الله إني ضقت ذرعا وحل اليأس وارتحل الرجاء

رسول الله كيف يضيق ذرعي ولي في بابك الأحمى احتماء

رسول الله داو عليل جسمي فأنت طبيبه وبك الشفاء

رسول الله مالي من طبيب سواك وأنت لي نعم الدواء

يازين زين العابدي ن وقاك ربي شينا

يازين ياولدي العزي ز ونور عيني دمت عينا

لولم تكن زينا حوي ت الزين ماسميت (زينا)

زين السما زين اللما لله أنت آسما وعينا

لولم تكن لي قرة ماجئتني فقررت عينا

شكرا لمن أعطاك لي من فضله وحباك زينا

ولمن اتاك مهنئا بكتابه وحباك عينا

شكرا لهم فجميلهم في ذمتي مازال دينا

لازلت قرة أعيني ووقاك ربي الله عينا

ووردت على الأديب بوجندار رسالة لطيفة وأبيات رقيقة:

بعد تقديمي لسعادتكم عاطر سلام أذكى من نسيم الصبا اذا لاح. وفائق احترام أجل من خضوع العشاق لدى بزوغ شمس مناظر الملاح. فقد بلغنا بمزيد السرور ان الدولة الفرنساوية الفخيمة أنعمت على سيادتكم بوسام جوقة الشرف مكافأة لخدمتكم الجليلة. ونحن اغتناما لهذه الفرصة نقدم لجنابكم الابيات الآتية تهنئة بمناسبة ذلك الانعام نظرا لما بيننا من الروابط الودادية وخالص الصداقة قديما وحديثا وهي:

مقامك بين القوم عال وسام فلا غرو ان أحرزت اسمى وسام

وسام تسمى جوقة الشرف الذي به يتحلى الصدر عند تسام

ولاسيما يا مرتضي صدرك الذي كبحر من الآداب والعلم طام

ففاخر به لا زلت شهما مفاخرا بأوسمة تاتيك في كل عام

فنشدو لها تاريخ حقب وسامكم وانك عند القوم عال وسام

أخوكم محمد حركات الكاتب بمراقبة الرباط لطف الله به.

الجواب

كتاب ولا كالروض غب غمام يفوح ولا كالمسك عند ختام

وطرس ولا كالزهر اثر ابتسامه يلوح ولا كالبدر عند تمام

بلى انه شعر بل السحر نفسه ولكنه في الفعل كأس مدام

فلله ما أسمى قريضك اذ أتى صباحا يهنيني باسمى وسام

يقول وهذا القول من حسن ظنه: (مقامك بين القوم عال وسام)

كرمت وانت ابن الكرام الالي امتطوا من المجد والعلياء أعلى مقام

وحقك ما برق المودة خلب   لديك ولا عهد خفير ذمام

فدم ولك الشكر الجزيل مشفعا   بأزكى تحيات وأذكى سلام

وقال مساجلا شيخه أحمد بن المامون البلغيثي:

ولعمري لقد تكلفت في طب عي لعين المطبوع مالا أطيق

لازدحام – كما رأيت عليها وهي عين فتقاء فيها فتوق

ولك البناء فارضها ودع الطا لسواك الذي إليها يتوق

واقصد الظاء فالأنام فريقا ن فريق للطا وللظا فريق

فلذا قد أتيت ترغب في الظا وهي عند الأديب ليست تليق

وإذا مارارتأيت فيها صلاحا فهنيئا بما ترى وتذوق

وهنيئا بها فتاة عروسا لك زفت فلاح منها بريق

لاعجيب إذا رشفت لماها ثم أنساك حيث أنشاك ريق

ذا اعتذاري ولست أرضى سواه من أديب يروقه الترويق

من أديب قفا القوافي ولم يض نه منها التبزيق والتزليق

بل له طاب قول قوف فحاكى   قول أنثى الدجاج للديك قيق

وقال من مساجلة صديقه الشاعر المطبوع:

حي بن رحمون وشرعي الندا والأحمدين تحية الاكبار

وحذار أن ننسى أبا العباس لو جئت البنيقة والأخ البكاري

سلم عليهم ماتمتع زائر الـ حمرا برؤية قصرها الخزواري

وشهوده لمشاهد السرا بها ومعاهد الآثار والإيثار

والشاعر المطبوع فيها منشدا للشعر حول الكأس والأوتار

تغشى حماه في الختام تحية من خله الأوفى أبي جندار

هذا علاج الخليقة به الشفاء حقيقة

وحسبنا وكفانا إظهاره للحقيقة

حقيقة وحياتي لبالظهور حقيقة

كنا نراها مجازا واليوم صارت حقيقة

حلفت يميني باليمن آية السبع المثاني والمثالث

إن الكتابة مذ مضى عبد الحميد مع العميد مضت وما وافت بثالث

به كراتي عبد الحميد مسامرا بقض بإني في يميني اليوم حانث

مقامة: ذكرى ختم البخاري

حدثني نفح عبير الخزام عن وجنات الورد ذات الكمام

عن عذبات الرند مسدولة عن قامة الغصن رشيق القوام

عن ناظر الأعين من نرجس عن ضاحك الزهر بدمع الغمام

عن سائل الجدول وقت الضحى فنادت الشمس هبوا لي لثام

عن نعس الأعين مكحولة عن لعس فوق حباب الغمام

قال:

حدثنا بشار، بسنده إلى حدائق الأزهار، قال: جاء في مشارق الأنوار، عن بشر بن زهر، عن ربيع الأنوار، قال: نم مسك الختام ، عن عبير ابن زهر ، عن ابن بسام ، قال: لما حللت يوما مدينة الرباط ، وأنا في شوق واغتباط. وكان اليوم فضي الأديم ، ندي النسيم. وسحاب الأفق بين قاتم وساجم ، وجيش الغيم بين مهجوم وهاجم. والجو عابس الوجه غدافي الإهاب، والشمس كأنها خجلت فتوارت بالحجاب. فرأيت لذلك أن ألقي عصا التسيار، وأجول وأجوس خلال الديار. وأتفسح بين منازل ومنازه المدينة. وكانت يومئذ محلاة بحلية ثمينة، متحلية بأشرف حلة وزينة. قد أخذت زخرفها وازينت وخففت عليها

رايات الابتهاج فاهتزت وربت. وقامت تنثني دلالا ومرحا ، وترقص طربا وفرحا. كأن الدهر عاطاها من نشوة الأفراح قدحا قدحا فقدحا:

وأصبحت بضروب الأنس آهلة تلهي النديم عن المدام والوتر
تقول وهي من الادلال في مرح اليوم أحرزت قصب السبق في الفخر

قال ابن بسام: فعلمت أنها اليوم في صعود وسعود، أو في يوم عظيم مشهود، وقلت في نفسي: إنها لفرصة أي فرصة، تجلو عن القلب الغصة. ثم انطلقت أسبر غور الحادث ، سبر الجد الباحث، حتى أدنتني خاتمة مشيتي، إلى الحصول على ضالة منيتي، والوصول إلى حيث بغيتي. وذلك بوصولي للبيت المعظم، والمسجد الجامع الأعظم، حيث سمعت رجة لها جلبة وضوضاء، وضجة تسد منافذ الفضاء. والناس يتهافتون على أعتاب الجامع. تهافت النحل على أزهار الروض اليانع. وفي مقدمة القوم علماء العدوتين، وفضلاء الأمتين، مع السادة الوزراء الفخام، وبقية رجال المخزن الكرام. فلم أتمالك أن التفت نحو شخص كان عن يساري، وسألته عن هذا المهرجان الساري، فقال: ألم تعلم أن اليوم م وعد ختم صحيح الإمام البخاري؟ فقلت: بلى. ولمن الختام؟ فقال: لشيخنا شيخ الاسلام ووزير مولانا الامام.

من لا أسميه إجلالا وتكرمة فقدره المعتلي عن ذاك يغنينا

فقال ابن بسام: فهمت لما فهمت ، وكبرت استعظما لما علمت ، والتحقت بتلك الجامع، بالدخول للمسجد الجامع. حيث تقرط الآذان وتشنف المسامع. عسى أن ألتقط من الشيخ بعض المنثور من فرائد فوائده، وأتقلد من عرائس أفكاره بما يزري بالدرر وقلائده، فإذا بالشيخ راق على منصة منبره ، ينثر على الأسماع ما ينظمه من درر الحديث وغرره. وقد أحاطت به -كما قال الحريري- أخلاط الزمر، إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر. والكل معجب بما أوتي من الفصاحة والبراعة ، وغزارة المادة ووفور البضاعة ، مع الإجادة في السبك والإبداع في الصناعة. وكان إذا حدث نفث بالحكمة والصواب ، وإذا أعرب أغرب بما يأتي به من جوامع الكلم وفصل الخطاب. وإذا عبر حبر ، وإذا أوجز أعجز. وإذا أطال أطاب ، وأرانا العجب العجاب ، كلما أجاب. هذا إلى اختيار أسلوب يخلب القلوب، وألفاظ تفعل فعل الألحاظ، ومعان كقلب عان، وكلام كأنه مدام.

كلام، بل مدام، بل نظام من الياقوت، بل حبب الغمام

ولم يزل هكذا إلى أن شاب قرن الصباح ، وكاد يصل الاغتباق، بالاصطباح. وماهي إلا هنيهة من الزمان ، أو دون قبسة العجلان ، إذ أشرف على الإتمام ، وأشرق في أفق مجلسه بدر التمام. فارتفعت عند ذاك بالثناء الأصوات ، يقطعها هتاف الحاضرين بصالح

الدعوات، ويردد صداها ترديد كلمة التسبيح ، مع إنشاد قصائد من الشعر الفصيح في غرض الحديث، وتهنئة الشيخ بختم الصحيح:

ختم على كبدي فما أشهاه وبهاؤه للعين ما أبهاه

طابت به أرجاؤنا أرجا فيا طوباه ما أزكاه ما أذكاه

ثم حلت الحبى للقيام، وقام الكل للسلام على شيخ الإسلام، وتهنئته بالاختتام. ولما قضى هذا الفرض، وكاد الجمع ينفض ، انبرى رجل من وسط ذلك الاجتماع ، وقال: إن الشيخ يدعوكم للتشريف فأجيبوا الداعي. فانعطف الجميع ، لإجابة دعوته بالذهاب إلى ندوته ، والتشرف بزيارة خلوته وجلوته ، حيث أفيضت عليهم سجال الإنعام ، وقدمت إليهم صحاف الألوان مابين شراب وطعام. فأكلوا هنيئا ، وشربوا مريئا ، وشاهدوا من ضروب الحفاوة والإكرام، وفق بل فوق ما عهد من كرام السجايا وسجايا الكرام.

قال ابن بسام، راوي هذه القصة ، ومغتنم هذه الفرصة: وهنا وقف جواد البراعة من الجري في مضمار وصف ذلك الختم الحفيل البالغ منتهاه من البراعة:

ولو أنني أنفقت عمري في الثنا ، عليه ما وفيت بعض حقوقه

فالواجب إذن أن أنثني كل الإنثناء ، وأنتقل من الخبر والثناء إلى باب الدعاء ، سائلا من المولى تعالى أن يجعله ختما مباركا سعيدا على العباد، وفاتح خير وإسعاد على كل البلاد. وأن يختم لنا جميعا بالحسنى، ويكرمنا بالنظر إلى وجهه الكريم الأسنى.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

قال ابن بسام: وقد تسابقت أقلام النثر والنظم، في ميدان الثناء على هذا الختم. إلا أن الشعر الذي سارت بذكره الركبان ، وسرت بعبيره مهاب الأنسام عاطرة الأردان ، بعدما روت صحيح متنه عن نسمات الأسحار ، وسنده العالي عن نفثات الأسحار ، هو ما جاء في بعض الروايات المنقولة —ومعلوم أن زيارة الثقاة مقبولة. من أن قصيدتين من عالي الشعر، الغالي السحر، هما اللتان وقع على إنشادهما الاختيار —عندما عرضتا على محك النقد والإختبار- فأصبح لذلك حديثهما الحسن موصول الإسناد مرفوعا لا مقطوعا ولا موضوعا. واعترف الكل بأنهما من عرائس الأبكار. ونفائس الأفكار ، وبدائع الابتكار، وروائع الافتكار. ولابدع، فقد ضربتا في باب الإجادة بسهم، وجرتا ذيل التيه والإعجاب على أبي عبادة وابن الجهم، وإليك منهما هذه القصيدة، التي استطبت نشرها على أعمدة الجريدة، لتكون ذيلا لهذه المقامة ، ومسك الختام لهذا المقام الذي تطيب فيه الإقامة.

وهذا نصها كما رواها ابن بسام قال . ويالة من مقال:

حب الحنيفية السمحاء من شيمي وحبها نعمة جلت عن القيم

حسناء لكنها تهديك طلعتها إلى منار الهدى المنجي من الظلم

لولا شمائلها وحسن منظرها ما ذقت طعم الهوى يوما ولم أهم

حديث وجدي بها صحت روايته عن واقد قد تحرى النفخ في ضرم

لذا مسلسل شوقي جاء متصلا ومدمعي مرسل ينهل كالديم

وما اعترى القلب ضعف في محبتها ولا اضطراب ولو في مدرج الحلم

وكيف والقلب موقوف تنافسه على التزام هواها أي ملتزم

لايبتغي بدلا عنها ولا عوضا ولا يشبب بالزوراء أو أضم

تالله لو أنصف الدهر الولوع بها لكف معضل خطب عنه مقتشم

وما رماه بأقوام ذوي بدع كانوا الوبال على منهاجها القيم

قد أنزلوها لعمري شر منزلة ولطخوا عرضها من جهلهم بدم

ساقوا لها كل مجهول ومنقطع من البدائع سوق سائق حطم

كأنها أصبحت من بينهم غرضا يرمونها باختلاف الزور والتهم

فظن ذلك منها غيرهم فغدت مغزى التهكم للمستهزئ الهكم

أضحوا طوائف كل حامل علما أو خاض ظلما يحنو على صنم

ما بين مفترس ذبحا وملتمس شطحا ومرتكب شدخ الرؤوس عمي

فذي توهن ذي وذي تنزل ذي عن شهوة وهوى في حيز العدم

تسعى لتفرقة الإسلام طاقتها (من حيث لم تدر أن السم في الدسم)

حاشا الشيوخ فقد شادوا طرائقهم على الحنيفية السمحاء فاستقم

وليس منها افتراس اللحم نيئه وليس منها لعمري الشدخ للقمم

وكم وكم بدع بها قد التصقت من جهل قوم بمرعى العلم لم تسم

لو قمت معتزما أبغي تتبعها لضاق نظمي، بل لم يستطع قلمي

ياليت شعري هل شعري يذكركم تذكير حر غيور صادق الكلم

يود أن لو شعرتم بانحطاطكم في هوة الجهل بالأحكام والحكم

يود أن لو حييتم بعد موتكم بروح سنة خير العرب والعجم

يود أن ترجعوا مجد الألى سلفوا من أمة لم تزل تعلو على الأمم

ومن يضع مجد أسلاف له شرفو فقد تعرض للإخطار والقحم

أما اتعظتم وشيخ العصر حافظه رب الوزارة حامي الدين من وصم

يجلو حقيقتها في الله ناصعة على منصة تبيان بلا سأم

ولم يزل بسيوف الحق ينصرها نصرا به غيره في الناس لم يقم

حتى اهتدى كل سار في الضلال إلى سنا هداها اهتداء الركب بالعلم

وكيف لاوهو في سحر البيان لدى شرح الحقائق عين المفرد العلم؟

وكيف لاوهو شمس الدين ناصره وركن بيت العلى والمجد والهمم؟

سمير علم وأسرار مقدسة من الشريعة تستولي على الفهم

لاحت على وجهه آثار خدمته لسنة المصطفى في الحل والحرم

فالنور مقتبس من نور طلعته والعلم ملتمس من نطقه الشبم

شيخ إذا سابق النظار لم يصلوا لشأوه في الذكا والحفظ والفهم

شيخ تسامى إلى الاملاء وهو فتى فنال من كل علم أوفر القسم

شيخ بفيض نداه قال قاصده أكرم بأكرم مطبوع على الكرم

سعى لنيل العلى والفضل مجتهدا حتى غدا في الأعالي حامل العلم

سل عن نفائسه درس الصحيح تجد لطائفا زانها التحرير لم ترم

درس غريب ولكن في محاسن قد قادت له زمر الأعلام بالخطم

وأصبحت سائر الطلاب سائرة به لصواب صواب واضح اللقم

وكيف يخشى ضلالا من يقلده وهو الذي حوله الأهواء لم تحم

لاغرو إن ثغر الفتح مبتسما يجر ذيل فخار غير منخرم

وذا الامام شعيب قد تخيره مأوى به يفتح الأسماع من صمم

أقرا الصحيح به بدءا لمختتم (ياطيب مبتدإ منه ومختتم)

ذاك الصحيح الذي فاق الصحاح علا ولم يعبه بعيب قول متهم

حدث به يا أخا العلياء إن به تزاح عنها غيوم الجهل والغمم

فليهن سيدنا اختتامه فلقد وافى بسعد ويمن غير منصرم

وأقبلت معه الأفراح سافرة من بعد إدبارها عن وجه ملتثم

وصافحت مسلمي الدنيا يدا قاطبة لشامخ العز والتمكين والعظم

واحفظهم في شعيب فهو منقذهم بحسن إرشاده من زلة القدم

ما قال ذو شغف بالحق مفتخرا حب الحنيفية السمحاء من شيمي

قالوا ثم البشر والوجوه سافرة وموسم النصر بالافراح موسوم

فقلت ان فرنسا اليوم في ظافر واليوم (غليوم) ذلك الغول مهزوم

قالوا متى كان مغلوبا ومنهزما فقلت تاريخه (أظلت غيلوم)

وقال بمناسبة تعيين الاديب أحمد بن الحواز رئيسا بمجلس الاستيناف الأعلى

أتتني صباحا وهي حاملة بشرى تهلل وجه الدهر من أجلها بشرا

وقد فتنت لما أتت فكأننا سكارى بها أنسا ولست ترى خمرا

فقالت ما تدري فقلت لها بلى فقالت إليك الخبر إني بها أدرى

فقلت وماذا الخبر قالت بشارة بعزل فلان عن وظيفته الكبرى

وإن ابن حواز حبيبك قد أتى رئاسة الاستئناف وهو بها أحرى

فقلت لعمر الحق حل لنا الهنا وحق لك التقبيل عن هذه البشرى

فقبلتها ألفا ومن فرحي بها تغالطت في عدي فزدت لها عشرا

لتهن أبا العباس أحمد من غدا به الثغر ثغر الفتح أشنب مفترا

فأنت الذي قد طار صيته في الورى بأنه فرد في القراءة والإقرا

وفي العلم بحر قد تلاطم موجه وهل بيننا من يصطدم الموج والبحرا

وفي المجد يدعى سيدا وابن سيد يزاحم نجم الأفق والشمس والبدرا

وفي النظم والآداب لاشك شعره هو الشعر لكن دونه رتبة الشعرى

اذا حاضر الجلاس يوما بعلمه تقول يزين النحر أو ينفث السحرة

ولو أنه أجرى اليراعة خلته لنا يطبع الأسجاع أو يصنع الدرا

وينظم في سلك القوافي جواهر كما ينشر الأسلاك والأنجم الزهرا

بعيشك قل لي هل فلان نظيره وهل أنه في العلم قد فاقه قدرا

وهل أنه في المجد والجد شبهه وهل أنه يحكي شمائله الغرا

وهل بيته بيت النبؤة والهدى وهل أنه من نسل فاطمة الزهرا

وهل تستطيع اليوم تزعم أنه لدى الرأي والتدبير مثله أو أدرى

لعمري ما في فضل أحمد من مرا وهل يجحد الصبح الذي أبصر الفجرا

لتهن أبا العباس بالرتبة التي تقلدتها فينا فللتهنا فخرا

لك الشرف الأسمى الذي دونه السما طا الأرض ثم ارق المجرة والنسرا

لتهنِ لنا ولتبق فينا محسنا إذا ما أطال الله لي ولك العمرا

وأجابه ابن الحواز

طبيعة أهل المجد تستنبت البذرا كما أن داعي الود لم يطق الصبرا

فما ارتكزت في همة المجد حكمة جمالية إلا اقتضى نورها النشرا

وما صقلت مرآة ود وحصنت دعائمه إلا وتستوجب الشكرا

ولما تجلت لي خريدة فكركم أفادت فأصبت من بلاغتها الفكرا

ولاحت كما تبدو الثريا بأنجم تواصل جوازء المجرة بالشعرى

وحيت فأحيت نفحة أنست بها وهنت فأهدت من شذا طيبها عطرا

وزادت فوفت بالمكارم منكم وعين الرضى ترنو لما جاوز القدرا

ولا شك أن الخير والعلم والعلا صفات يفيد الشعر من أهلها البشرى

لكم واجب الشكر الذي لا نطيقه   على نية حسنى خصصتم بها ذكرى

ولما تجلت لي خريدة فكركم   أفادت فأصبحت من بلاغتها الفكرا

ولاحت كما تبدو الثريا بأنجم   تواصل جوازء المجرة بالشعرى

وحيت فأحيت مهجة أنست بها   وهنت فأبدت من شذا طيبها عطرا

وزارت فوفت بالمكارم منكم   وعين الرضى ترنو لما جاوز القدرا

ولا شك أن الخير والعلم والعلا   صفات يفيد الشعر من أهلها البشرى

لكم واجب الشكر الذي لا نطيقه   على نية حسنى خصصتم بها ذكرى

وبي أسف من أجل سقمكم الذي   يداركه المولى بعافية تترى

ويمن شفاء لا يغادر علة   وتجديد عز دائم يرتقي النسرا

وإني على شوق أعود جنابكم   قياما بحق ما استطعت له حصرا

كما أني أرجو دعاءكم الذي   يرى مستجابا عند من يمنح السترا

تداركنا سبحانه بعناية   فإنه يكفينا وإياكم الأمرا

وكتب لي في بعض أغراضه قوله:

عجبا لأهل محبة ودمار عهدوا بحفظ معاهد التذكار

تأتيهم كتب الحبيب فلم يرد عنها الجواب وهم بقرب مزار

أو ليس حكم محبة متنزها عن آفة التقصير والإقصار

وعقيدتي أن الفضائل حازها ذو الرتبة الأحظى أبو جندار

فالشأن فيه عناية قد نزهت عن وصفها بتلمس الأعذار

لكن تهليلا أتى بوجودكم منه الجواب بموعد استبشار

وعلاه أولى بالوفاء لأنه متميز بمحامد الآثار

والقصد منك بأن تذكر فضله في فوزنا بسهولة الأوطار

حاش الحقوق بأن تضيع وإنها تنمى لأهل العدل في الأقطار

لاسيما عدل الحقيم فإننا نرجو الشفاء به من الأضرار

والعدل في فصل الحقوق أساس ما تبنى عليه عمارة الأمصار

ما العدل في التحسين إلا تابع بعد الحقوق وحفظها من طاري

وإذا الحقوق تأخرت أفضت إلى أن التغافل في التحفظ ساري

ولكم تكررت الشكاية مذ بدا نشر القرار بفصل كل مباري

وتكرر الإعلان رسميا بإر جاع الغصوب وميزة الأقدار

ما بال شكوانا لسوء الحظ لم تنل الفصال بحيز الإظهار

وأجل من حفظ الحقوق إقامة قد ركبت من أعظم النظار

فلنا الرجاء بأن نرى من فضلهم نور الوفاء من نير الأفكار

فراجعته بقولي:

هذا طرازك أم يراعك جاري يا نافث الأسحار في الأسحار

أم تلك عاطفة الوداد تمثلت ممزوجة بعواطف التذكار

جاءت تذكر في حقوق لم تسم منا بنسيان ولا بنفار

وغدت تفوق للملامة أسهما وتقول يا عجبا لأهل ذمار

تأتيهم كتب الحبيب فلم يرد عنها الجواب وهم بقرب مزار

مع أنني حينا كتبت جوابها من غير تقصير ولا إقصار

لكن أتت بلسان تهليل فقط نظرا لكونه فارس المضمار

ولكونه بيت القصيد والاتحا د ما في كل شغل جاري

مهلا أبيت اللعن لا تعتب على عاري المقاصد من معرة عار

ولئن وهمت تكاسلي وتغافلي فالوهم عندي كالخيال الساري

ما إن له حجة مقبولة في شرع أهل الود والإيثار

ولطالما وحياتكم ذكرت صا حبنا وكم ألححت في تذكاري

فيجيب أن الحرب كانت أعظم الـ أسباب في التعطيل للأوطار

وهي التي للآن ما زالت لأهـ   ـل الحكم تشغل سائر الأنظار

فعليك بالصبر الجميل ولا تخف   لابد يظهر حقك المتواري

ولقد علمت اليوم خير بشارة   تهدي إليك مسرة استبشار

وتريك أن الفضل في تلك القضا   يا قد غدا في حيز الإظهار

حيث المقيم غدا بنفسه ناظرا   في شأنها من أعظم النظار

فإليك حسن بشارتي مقرونة   بتحيتي وثنائي المعطار

وكتبت له معتذرا:

هذا محبكم قد جاء يعتذر والعفو عند كرام الناس ينتظر

ليس التخلف للإخلاق شيمتنا وإنما قد أتى ضد المنى القدر

وقد علمت قديما قول شاعرهم تجري الرياح بما لا تشتهي النظر

فأجاب:

عذر التخلف مقبول بموجبه لولاه ما كانت الأحباب تعتذر

والود إن كان بالإخلاص مقترنا ولو مع العذر لم يضعف له أثر

دمتم ودام علا القبطان مرتقيا والوقت في غده منكم سينتظر

مقامة: فضل العصا على السيف

روى ابن بسام، عن ساجع بن حمام عن عزبات البان ، عن قضيب الخيزران ، قال: تلاقى يوما صاحب سيف وصاحب عصا ، فتناظرا في الأفضل هل السيف أو العصا. ولما طال بهما الجدال ، وكاد النزاع يفضي إلى النزال ، ترافعا أمام سلطان العقل ، عسى أن يسلك بهما مسلك الانصاف والعدل، فقالا: نحن خصمان بغى بعضنا عن بعض، وخشينا تفاقم العداوة والبغض. وقد جئنا إليك وأنت صاحب كلمة الفصل ، وعلى حكمك التعويل فيما ترى من الفضل. فهل تتنازل حتى نشرح لك القصة ، وتسمع كلامنا نصه وفصه. فقال: على رسلكما فالخطب سهل بينكما ، وسأقضي فيكما بما أراني الله ، ولاحكم إلا الله. فقيم تطلبان قضاي؟ قال الأول سيفي، والثاني عصاي، ثم قال: عصاي غاية مناي، وضالة يسراي ويمناي. عصاي أتوكا عليها وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى. فهي بالتنويه أولى ، وبالتفضيل أحرى، فقال صاحب السيف: ويحك ماهذا الحيف؟ هل سمعت من قال بتفضيل العصا ولو على الحصى؟ ماهذا الا ضرب من جنون والجنون كما قيل فنون.

صاحب العصا: عجبا لك ما أجهلك لو كنت تعلم مافي عصا السير، من وجوه البر والخير، لتخليت عن سيفك ، سيف الضير، وتحليت مثلي بالعصا التي هي سنة

الصالحين وزينة السائحين وسمة الفقهاء المرشدين والفقراء المسترشدين. بل معجزة الرسل والأنبياء، وبقية آثار السلف الصالح من الأولياء والأصفياء.

صاحب السيف: كيف أتخلى عن سيف من حديد، فيه بأس شديد، إلى عصا أصلها من خشب، لاحسب ولانسب ، ولاشنب ولانشب. وهل الفضل إلا للسيف وحده، إذا أبان عن جفن القراب حده؟ وهل رأيت من تحلى ، بغير السيف المحلى؟ وهل تفتخر الترائب والأجياد سوى بحمائل النجاد وحلل الأغماد.

صاحب العصا: رأيتك ممن يغتر بحسن المنظر المخبر ، وممن يفتخر بالنسب والنشب، ولايكترث بالأدب ، مع أن قيمة المرء آدابه وأعماله ، لاماله وجماله ، والعبرة بمحصوله لا أصوله، وبموجوده لاجدوده:

كن ابن من شئت واتخذ أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبي

صاحب السيف: حقا ماتقول وإني الآن بعمل سيفي أفتخر وأصول أما علمت أن السيف حامي الضيف ، وحاسم مادة الحيف؟ وعليه اعتماد البطل الشجاع ، في حالتي الهجوم والدفاع؟ وهو صاحب الآيات في الطعن والضرب إذا قامت قيامة الحرب؟

وهو الحاكم بحد النصل ، إذا انتصب للفصل؟ وصاحب الحق والعدل ، وإن قيل سبق السيف العذل؟ وهل جاء الحد بين اللعب والجد سوى في حد الحسام؟ كما قال أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

صاحب العصا: مهلا على رسلك ، وتأمل في قولك ، لتعلم أن ماذكرته لايعد مزية للسيف وحده وإن كان المثل السائر في الحدة ، فإن السيف والرمح في ذلك أخوان ، يجتمعان ولايفترقان، سيما إذا تقابل القرنان والتقى في الحرب الجمعان.

ومن يجهل أن تلك الرمح إنما هي عصا خلقت لطعن من طغى وعصى؟ فما لك والتفاخر بما لخصمك من الخلال ، والتفاضل بما للعصا من الخصال؟ على أن الانسان في غابر الأزمان لم يكن يعرف إلا النضال بالعصي ، دون السيوف والقسي. فمجدها أثيل ومجد السيف حديث دخيل. وقديما قيل: التقدم من دلائل التفضيل:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت: الفضل للمتقدم

صاحب السيف: هيهات هيهات ، نفاق الترهات أنى للعصا أن تدرك مقام السيف في فتح البلدان ، ونشر الأديان ، وتأييد السلطان؟ فلولاه ماخضعت رقاب

وسلمت نفوس، وذلت أعناق وطأطأت رؤوس. ولولاه ما انتشر لواء أمن ، ولاصدح طائر يمن، ولا تفيأت مدينة ظل السكينة ، ولاخفقت عليها من أجنحة الطمأنينة رايات الأفراح وبيارق الزينة. بل لولاه ماكانت عمارة، ولا راقت حضارة، ولا راجت تجارة. كيف؟ وهو صاحب الصولة، وفارس الجولة في كل دولة. فله الأيادي البيضاء في إعلاء شأنها ، وحفظ كيانها ، وتشييد أركانها. وهل للرجل البطل عند العطل سوى العمائم بدل التمائم ، والسلاح مكان الوشاح؟ كما قال الشاعر الوشاح:

أنا شاكي السلاح وذو الوشاح وذو الصمصام والسمر الرماح

يقلدني لذى غضبي سلاحي وعند رضاي يفخر بي وشاحي

صاحب العصا: تالله لقد صلت وطلت فيما قلت ، وجاوزت الحد في القضاء ، وجنيت على طبيعة السيف في الحدة والمضاء. وكم تعاميت وتماريت ، وليتك تواريت وما تباريت تفخر بأن السيف سلاح الفاتحين من الأمراء ، ولاتذكر أن العصا معجزة المرسلين من الأنبياء، وقل لي بعيشك ، هل تحدى نبي الله موسى بسيف أو موسى؟ وهل طوع من عصاه سوى بعصاه واعلم أن السيف لو كان حليف الأعجاز ، فعصا حليفة الأعجاز، والسيف لو كان طاعن القفا والنحر ، فالعصا فالقة الحجر والبحر. ولله در ابن الرومي حديث قال:

مديحي عصا موسى وذلك أنني ضربت به بحر الندى فتضحضحا

فياليت شعري: إن ضربت به الصفا أيبعث لي منه جداول سيحا؟

كتلك التي أندت ثرى الأرض يابسا وأبدت عيونا في الحجارة سفحا

سأمدح بعض الباخلين لعله إن اطرد المقياس أن يتسمحا

فقد أبدع في ضرب القياس، لو لم يفترع غير هذا البكر لكان من أشعر الناس، إذ شبه مديحه بعصا موسى التي ضرب بها البحر فيبس وانحبس ، وضرب بها الحجر فانفجر وانبجس ، وذلك حيث مدح الجواد، فبخل وماجاد، وجنح إلى مدح البخيل. عسى أن يجود وينيل ، قياسا على فعل العصا والبحر، وهو لها أعظم أثر وفخر. أما مالها من العجائب والغرائب في إبطال سحر الساحر، فقد أسفر عنه قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقل بطل السحر والساحر

صاحب السيف: بئس الرأي رأيك الغائل، وأين أنت من قول القائل:

قل لمن يحمل العصا حيث أمسى وأصبحا

ماحوتها يد امرئ بعد موسى فأفلحا

وأي فلاح وظفر، في ذكرى الرحيل والسفر، كما قال بعض من شعر:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها علي ولا أني تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها لأعلمها أن المقيم على سفر

نعم، هي للطاعن في السن شارة كما قال ابن سارة، وقد ذمها بطريق الإشارة:

ولي عصا من طريق الذم أمدحها بها أقدم في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها على ثمانين عاما لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتر أرمي عليها سهام الشيب والهرم

وأما السيف فحسبه شرفا الخبر المعروف في أن الجنة تحت ظلال السيوف.

العز تحت ظلال السيف مطلبه فلا يفوتنك عز آخر الأبد

فالإقرار الإقرار، بما للسيف من السؤدد والفخار. والبدار البدار لإلقاء عصا صاحب العصا: ما أقبحك هلا أقلعت عن الشتم، وأقللت من الذم، ثم انتهجت طريق الاهتداء، وفللت سيف الاعتداء، وانتهيت عن لغطك في غلطك. وإن لم تنته عن لهوك وزهوك فإني أقول في هجوك:

تكفر بالرسل جميعا سوى موسى بن عمران لأجل العصا

وكيف تأمرني بإلقاء عصا التسيار، وقد أمر الرسول بها أصحابه الأبرار. وكان يتخذها صلى الله عليه وسلم للاتكاء اقتداء بغيره من الأنبياء. وكانت لاتفارق يد سليمان عليه السلام في مقاماته، حتى سلط الله عليها الأرضة وهو ميت فسقط فكانت للجن من آياته. ولما وفد على معاوية سحبان، في وفد من خرسان، تطلب عصا قبل الكلام أمام الإمام. فقالوا: ماتصنع بها وأنت تخاطب أمير المومنين؟ قال: أصنع بها ما صنع موسى وهو يخاطب رب العالمين. ومازال للعصا هذا الفخر الأكبر كلما ارتقى خطيبنا على المنبر. وهي عادة قديمة عند العرب إذا قام بينهم خطيب للترغيب أو الترهيب.

صاحب السيف: تذكر أن العصا سلاح النبيئين، وتتناسى أن السيف أفضل أسلحة سيد المرسلين. كأنك تجهل ماهو معروف، من أنه صلى الله عليه وسلم كانت له عدة سيوف، منها المأثور واللحيف والقضيب والصمصامة والبتار، ومنها القلعي والحتف والمخدم والرسوب وذو الفقار. ولو لم يكن السيف عند العرب صاحب المقام الأسمى، ماجعلوا له كذا من الأسما، فقالوا الصارم والحسام، والمرهف والصمصام، والمهند والمذكر، والصفيحة والأبتر، والهندي واليماني والمشرفي والقساسي إلى غير هذا من الآسامي:

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

كما ضربوا الأمثال ببعض سيوفهم التي اشتهرت بكرم الجوهر ، وحسن المنظر، مع المضاء وطيب المخبر، كسيف علي وسيوف الخوارج وصمصامة عمرو فقالوا:

أخ ماجد ماخانني يوم مشهد كصمصام عمرو لم تخنه مضاربه

وأنشدوا:

وفيك لنا فتن أربع تسل علينا سيوف الخوارج

لحاظ الظباء وطوق الحمام ومشي النعاج وحسن التدارج

وقال الصاحب:

أحسن من عود ومن ضارب ومن فتاة طفلة كاعب

قد غلام صيغ من فضة متصل الحاجب بالحاجب

سل عن الأمة من طرفه سيف علي بن أبي طالب

صاحب العصا: إن كثرة الأسماء للمسمى لاتدل على شرفه دائما. وفي الحقيقة ليس هناك إلا اسم واحد لكل مسمى، وإنما خلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. ألا ترى أنهم جعلوا كذلك للعصا أسماء عدة ، فقالوا لذات الزج عكازة أو عنزة أو مطردة ، ولذات الحربة رمحا أو قنا أو صعدة. وربما قالوا المثقف والخطي. والعسال والذبل والأسمر اللون والقسي. وأشعارهم بذلك عامرة، وعلى الألسن دائرة. كما أن أمثالهم المضروبة بالعصا لم تزل سائرة، كقول الأفعى الجرهمي في قضية: إن خشينا من أخشن وإن العصا من العصبية وقول بشر بن عوانة العبدي في معرض الفخر والتحدي:

هل تلد الحية إلا الحيه تلك العصا من هذه العصيه

وجاء من أمثالهم قولهم: خير من تفاريق العصا، ولا تدخل بين العصا ولحائها. وإياك وقتيل العصا وشق فلان العصا وإن العصا قرعت لذي الحلم. يضرب الأول فيمن يحتاج إليه وينتفع به، ويأتي النفع بسببه، قال:

أحلف بالمروة ثم بالصفا أنك خير من تفاريق العصا

ويضرب الثاني في المتحابين المتصافين المتخالين، قال:

لاتدخلن بنميمة بين العصا ولحائها

ويضرب الثالث في التحذير من تفريق الجماعة، والرابع فيمن خرج عن الطاعة، قال:

فلله شعباطية صدعا العصا هي اليوم شتى وهي أمس جميع

وقال جرير:

ألا بكرت سلمى فجد بكورها وشق العصا بعد اجتماع أميرها

ومن نشيد في مدح الرشيد:

إمام له كف يضم بنانها عصا الدين ممنوعا من البري عودها

وعين محيط بالبرية طرفها سواء عليه قربها وبعيدها

ويضرب الخامس للأنبه، الذي إذا نبه انتبه، قال:

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك في القوم تقرع

وقال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وماعلم الانسان إلا ليعلما

وللشعراء أمراء الكلام، غير ما أنشدناه في العصا من محاسن النظام.

ويكفي في الثناء عليها قول يحي بن نوفل في عصا الحكم بن عبدل:

عصا حكم بالباب أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب

وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذي لعمر الله أدهى وأعجب

تطاع فلا تعصى ويحذر أمرها ويرغب في المرضاة منها ويرهب

صاحب السيف: دعني من الافتخار، بما قد جاء في الأشعار. فإن للشعراء طريقة في التشبث بأهداب الخيال دون الحقيقة، فتراهم يمدحون ويقدحون، ويرفعون ويضعون (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون).

صاحب العصا: حذار حذار من ذم الشعراء ، فإنهم أمراء ، وموضع إجلال العظماء والكبراء. أما رأيتهم يرفعون مقامهم وينصبون أعلامهم اتقاء لأعراضهم ، وخوفا من سهامهم التي لاتطيش عن أغراضهم؟ ولله در قائلهم:

للسادة الشعراء فضل ثابت ولهم مقام ثابت ومكان

وهم سلاطين الكلام أما ترى كل امرئ منهم له ديوان

وكأني بك وقد لاحت عليك أمارات الغلبة تتوارى وراء ذم الشعر ومن طلبه. فقم للمناضلة، وقل ماشئت في المفاضلة، تجد عزيق النضال وجزيله، يجر عليك في الجدال ذيله.

صاحب السيف: ماذا عسى أن أقول أمام من يصول ويطول ، في ميادين الفضول. وكيفما كان الكلام فالأفضل السكوت عمن بلغ فخره الملكوت:

إذا نطق السفيه فلا تجبه وخير من إجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن أني عييت عن الجواب وماعييت

صاحب العصا: الله أكبر جاء الحق وزهق الباطل وتبين الحالي من العاطل. وألقى المناضل السلاح، وجنح للسكوت خوف الافتضاح. وأنى له أن يناضل بالسيف والسنان ، صاحب العصا الذي لايقعقع له بالشنان؟

حكم الحاكم: ولما انتهى الخصمان من الجدال والخصام ، انبرى سلطان العقل المنتصب على منصة الأحكام، وتناول من صاحب الحق عصاه فجعلها في يمناه, وقام يخطب بما يراه. فقال بعدما قدم مقدمة الثناء على الله: أما بعد. فقد تفاضلتما وتناصلتما ، وعلى تحكيمي تراضيتما

وتفاصلتما. والذي أراه، وهو الحق إن شاء الله ، أن السيف والعصا في الزمن الغابر أخوان ، أو كفرسي رهان. وأما في العصر الحاضر ففضل العصا على السيف مما لا يختلف فيه اثنان. كيف، وقد أصبحت عند الأمم الراقية ، أعظم شارة لأعظم رتبة عسكرية ، أعني رتبة المارشالية؟ وناهيك بها من قيمة أدبية لعصا المشيرية ، لم تحلم بها البواتر الهندية ، ولا السيوف السمهرية، ثم أنشد والطريق الحق أرشد:

إذا افتخر المغوار بالسيف في الوغى فرب العصا بالكبرياء جدير

فإن العصا جاءت لإعجاز من عصى بها اليوم يزهى قائد ومشير

وحسبك أن السيف للكل حلية سواء كبير بيننا وصغير

وأن العصا تمتاز عنه بأنها لفضل المشير المارشال تشير

قال الراوي: ولما جلس الحاكم من خطبته ، قام الخصمان لتقبيل راحته. ثم خرجا من عنده وكلاهما بحكمه راض، من غير أن يستأنفا عليه أن يبديا كلمة إعتراض. فقلت: لله درك من قاض، لا يتطرق لحكمه انتقاد ولا انتقاض، ثم أنشدت في الحال في تحقيق هذا المجال:

يقولون إن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

وإني أقول اليوم: كل فضيلة غدت للعصا بالرغم عن أنف من عصا

وكان منزل «أديب رباط الفتح وصاحب آيات الفتح» محمد بوجندار بمثابة عكاظ الأدب بالعدوتين، حيث كان يتدارس فيه كل ما يروج في سوق الأدب المغربي، وتلقى فيه محاضرات نثرية، ومساجلات شعرية، من ذلك أنه لما كان أدباء العدوتين في نزهة بروضة غناء «ولما راق مجلسهم، وكانت أنفسهم» خاطب أبو عبد الله محمد الناصري أبا جندار بقوله:

شرب كؤوسا أترعت في مجلس * يسقيكها رشا غدا مخمورا

فأجابه بوجندار بقوله:

رشاء إذا سكنات جفنه حركت * شمت الضمير بكسره مجرورا

وقد ظهرت في هذا النادي أيضا بين أدباء العدوتين مراسلات أدبية، ومطارحات شعرية، تبادلوا فيها التهاني بخلق هذه الحركة الأدبية، وتمجيد من فاز في ميدانها، وفتح أقفالها. من ذلك قول الحاج الطيب عواد في مدح أدباء الرباط :

«للفتح» أهل فضلهم لا يجهل وعليهم في المشكلات يعول

ولهم لدى كشف الغوامض همة من دونها انحط السماك الأعزل

فأجابه محمد بوجندار بقوله من قصيدة طويلة:

أهيل سلا الغراء شكرا على شكر فقد أشرقت من فكركم غرة الشعر

بهرتم بآيات أضلت بهديها ولا غرو فالإضلال من آية السحر

وطوقتم جيد الزمان ونحره بدر نفيس جاء من أنفس الدر

إذا ذكر السادات كنتم، وحقكم كفاتحة التنزيل في أول الذكر

فرد عليه الأديب جعفر الناصري بقطعة من نفس الوزن والراوية، يقول منها مادحا:

أهيل رباط الفتح مني عليكم سلام يفوق المسك والعنبر السحري

فأنتم بدور قد عنت لكم العلا وأنتم بحور الفضل من سالف الدهر

زففتم لنا منكم عرائس طوقت بمدح سلام تختال في حلل الفخر

إلى أن يقول في آخر قطعته:

بقينا أهيل الفتح نحن وأنتم على غاية التبجيل في السر والجهر

ودمنا كأرواح بجسم تمازجت كما امتزج الماء الزلال مع الخمر

وخاطب بوجندار الأديبين الناصريين لعقد مجلس أدبي بناديه بقوله:

خليلي يا ابني أحمد الأحمدي

الفرقدين النيرين في سماء السؤدد

هل تريا اجتماعنا في الغد يوم الأحد

إلى أن يقول:

ولكما أن تصحبا من شئتما من أغيد

وشاعر كالشاعر المقرظ المفرد

ولتحذرن أن تغفلا عبد الحميد الأحمدي

ولما وصلت هذه الدعوة إلى الأسرة الناصرية، أجابه جعفر الناصري بقوله:

يا أيها الخل ومن قد حاز أعلى السؤدد

أتى قريضك الذي يفوق شعر أحمد

تروم فيه جمعنا في اليوم يوم الأحد

في مجلس ينتابه كل أديب مفرد

أعني به «القباح» ذا المجد الأثيل السرمدي

إلى أن يقول في آخر قطعته:

لا زلت يا أخا العلا مرتقيا لأسعد

وقال بوجندار أيضا:

أهيل سلا الغراء شكرا على شكر فقد أشرقت من فكركم غرة الشعر

بهرتم بآيات أضلت بهديـــها ولا عجب فالإضلال من آية السحر

وطوقتم جيد الزمان ونحـــره بدر نفيس جاء من أنفـــس الدر

فأجابه الشاعر السلوي الطيب عواد:

أتتني من ربع الجهابذة الغـر فتاة تجر الذيل في رقة الخصر

فتاة من الحي الذي افتخرت به أكابر أهل الذوق في سالف العصر

عقيلة فكر للأديب الذي سما بأوج سما الإيجاز في النظم والنثر

أهيل الرابط الفتح فتحي بحكيم فلا غاب عني ما حييت مدى الدهر

بين الشاعرين عبد الله القباج ومحمد بوجندار

ونقتطف هذا المقطع من نظم شاعر العدوتين، يقول:

شاعرنا المطبوع يا من قد روى من القريض ما به قد ارتوى

ويا أديب المغرب الأقصى الذي طوى الحجاز وطوى بير طوى

إني رأيت الصائم الظمآن قبل الفطر يشعر بجوع وظمـــا

وإن لم يشتر الخبز ولم يطلب غذا فلا إذا ولا عشـــــا

ومن يكن طيره في قيد قفص ثم غدا يفتحه لمن يشـــا

فربما ند له وطار فـــي جو السماء بين أسراب القطا

والعذر أن نظمها كان مساء رمضان والنهار ما انقضى

لذا قصصت ذيله بنظمــها حتى نسيت الجوع فيه والظما

فما شعرت بالمسا إن انتهى والحمد لله بغير منتهـــى

مساجلة دارت بين الشاعرين أحمد بن المامون البلغيثي ومحمد بوجندار، يقول شاعر العدوتين مخاطبا شيخه البلغيثي، وقد حاد هذا الأخير في مساجلة سابقة عن روي الحاء إلى روي العين:

وما لك واجتناب روي حاء حلا في الذوق منا والسماع

أليس الحاء تحلو في القوافي كما تحلو لنا عنـــــد... !!

ليت شعري هل لانتصافي طريق   فطريق الجدال عنه تعوق

رمت عنه الجدال تحقيق حق   فإذا بالجدال ضاعت حقوق

يالقومي هل منصفي في أديب   ما كفاه التوقيف والتوفيق

ما كفاه ما قلته في البراعي   من قياس ولي دليل وثيق

ما كفاه التسهيل فيه دليلي   وهو سهل لديه مطروق

ما كفاه الأساس أسا لقولي   وهو عندي نعم الأساس العميق

ما كفاه تاج العروس المحلى   وهو تاج ومن حلاه العقيق

قال أزكى الورى الأمين الصدوق   وهو في كل ما يقول صدوق

من يدع لهجة الجدال محقا   به بيت لدى الجنان يفوق

لم أر الآن غير فصلين مما   قلته عنهما الجواب يليق

فاعتبر واتعظ وخذ نبل نقدي   لنظام يزينه التنميق

مساجلته بتعليق نقدي على مساجلة سابقة لصديقه ومن هذا القبيل ما فعله البلغيثي بشعر محمد بوجندار، فقد عاب عليه أشياء في مساجلة سابقة بينهما، فرد بوجندار مدافعا يقول:

نظرت كما أشرت إلى قريض كأن به اعتلالا حين يتلى

فما ألفيت فيه من معيب بلى من كل عيب قد تخلى

لأن حكاية الألفاظ ليست تعد لديكم لحنا وجهلا

أعد نظرا، فأنت أمام عقلي وكم من دركم جيدي تحلى

غير أن البلغيثي يظل متشبثا برأيه فيجيب الشاعر بوجندار بقوله:

أعد نظرا لما أرسلت قبلا تجد يا صاح فيما قلت نيلا

سأكشفه لكم عند التلاقي وتسلك من هداه بعد سبلا

وما تحكي كل الألفاظ حلو ولست أرى حلوا ليس خبلا

وقدرك في القريض يرى رفيعا وسندس ثوب فضلك ليس يبلى

وعاج البلغيثي ثانية إلى شعر محمد بوجندار آخذا عليه وقوعه في الإيطاء مما يعد عيبا في شعر الشاعر. فينبري شاعر العدوتين لدفع ما ألصق بشعره مجيبا شيخه في مساجلة قائلا:

الا مهلا أبا العباس مهلا لقد جاوزت حد المستطـــاع

ألست وسمت بالإيطاء شعري كأنك ما أطلعت على اطلاعي

وعنك أخذت أحكام القوافي ولي بك في العلوم طويل باع

بين الشاعرين محمد بن اليمني الناصري، ومحمد بوجندار بروض قصر ابن زيدان بمكناس:

بوجندار:

لله من مجلس رقت حواشـيه وشاه بالحسن والإحسان واشيه

الناصري:

تغشى قلوب الألى حلوا بساحته من السرور على المدى غواشيه

بوجندار:

وكيف لا وأريج الروض أرجه بما به تنتشي عقول ناشيه

الناصري:

أما ترى الروح في أرجائه رقصت زهوا وعجبا ببادي الفضل ماشيه

مساجلة بين الشاعرين البلغيثي وبوجندار، نجد الأول يوجه أبياتا لمحمد بوجندار في معاتبة الشاعر المطبوع، باعتبار أن هذا الأخير كان عائقا في طريق نشر بعض كتابات البلغيثي على صفحات جريدة "السعادة"، فكتب البلغيثي شاكيا معاتبا:

يا فاضلا أعاد فصلا سالفا وكان للسالف فيه خالفا

ما للسعادة – وثم مخالفا لها- أرتنا في العلم مخالفا

كأنها إذا دعوت سفاسفا استنكفت أن تنشر المعارفا

فأجاب محمد بوجندار بقوله:

يا أريحيا بالقريض عارفا وغارقا في بحره وغارفا

ولابسا من مجده مطارفا ومحرزا تاليده والطارفا

وافى قريضك البديع واصفا ما كان من أجله قلبي واجفا

وذاك ما قدمت عذري آنفا   في شأنه إذ كنت منه آنفـــا

حيث غدا مخالفي مخالفـــا   وعاد لي مخالفي مخالفـــا

وقال الأديب محمد الجزولي:

أبشر، لقد نلت الأماني في شبابك، والشباب مطية الأوطار

تهتم بالوطن العزيز، وترتجي إنقاذه من وهده الأخطار

وتسود للوطني شأنا في التقدم، والتقدم منية الأحرار

ويقول محمد بوجندار:

أرى الكتابة قد ألقت أعنتها إليك يا ابن الألى شادوا مبانيها

ولا عجيب إذا ارتقيت منصبها فالقوس قد أعطيت والله باريها

حتى المعالي لقد أتتك قاصدة برتبة لا يكاد البدر يأتيها

لذلك قد رقصت أرواحنا طربا مذ أدركت نفسنا فيكم أمانيها

فدم ودامت لك الأيام خادمة تمد نحوك أيدي أياديـــها

واهنأ فباليمن ما قد نلت من شرف ولتهنأ هذه الدنيا وما فيـها

فقال الجزولي مجيبا:

يا من تلألأ في أفق الرباط سنى وأرشفته العلى لمى غوانيـها

هنأتني وبودي أن أهنئـــكم لو مكنتني القوافي من نواصيها

إذ صافحتك يد الأيام مقبـــلة تهديك رغم العدا أسمى مراقيها

فاهنأ به شرفا ترنو العيون لـه واهنأ بها رتبا تسمو مبانيها

شعوركم بالوداد نحو حبكـم أشهى إليه من الدنيا وما فيها

ومن ألغاز الاديب أحمد بناني الرباطي الشعرية:

ياقارئ الالفية العجيبة في أي بيت قد أتت غريبة

لفظة تمييز على الحال نصب فلغزي باد يا أديب فأجب

وأجاب الفقيه المدني ابن الحسني:

أبديت لغزا رائقا في نسق عن مثله عجز كل مفلق

في قولها ينصب تمييزا لقي مازلت تسمو فوق تاج المفرق

وأجاب المؤرخ بوجندار:

جواب هذا اللغز ذا الكتساء بوصف لطفكم أخا الذكاء

في قول ذي الالفية المحبرة ينصب تمييزا بما قد فسره

وأجاب الشاعر الحاج محمد بن اليمني الناصري:

أبديت من أبكار أفكار الادب عروس لغز هي غاية الادب

وافت وطرفها كحيل الحدق فعقلت عقلي بفرط الحدق

وأقبلت ترفل في ثوب البها من حلة الفضل الذكي ذي الدها

مازال حاوي في العلا تبريزا ينصب بين الادبا تمييزا

إن أفضل ماحليت به سطور الطروس وطوقته أجياد الدفاتر وأجمل ماتجملت به نفائس النفوس وادخرته أفضل الدخائر حمد من زين الغبراء بالعلماء كما زين بالنجوم مجرة السماء فالحمد له سبحانه وتعالى على أن خص بمظاهر المعارف السامية وغيوث العوارف الهامية من شاء من أهل اللطائف السامية النامية والصلاة والسلام على قطب دائرة الوجود وعنصر كل موجود سيدنا ونبينا ومولانا محمد قبلة السجود وعلى آله واصحابه ذوي الكرم والجود ما أشرقت بمشارق أنوارها الأغوار والنجود أما بعد والابد فان من أفضل ممن الله علي واجل منحة الي أن وفقني للانتماء والاستفادة من شيخنا اجازة وإفادة نخبة الاعيان وواسطة عقد أهل العرفان العالم العلامة النحرير حامل راية التعبير والتحرير المجهبد الهمام الفاضل الرافل في حلل الفضائل والفواضل محدث العصر ومسنده ومؤرخ الزمان ومرشده ابو السعود والاسعاد سيدنا ومولانا عبد الحي الكتاني أفاض الله علينا من غيث حياه الهتاني وذلك أواسط جمادى الثانية عام 1331 واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف لما ورد علينا من فاس ورود الغيث على الريحان وحل بطرفنا حلول الماء العذب الظمآن بعد ماكنت إليه أشوق من العليل الى الراحة والمحب الى حبيب يدير عليه راحه حتى

حدثني نهج عبير الخزام عن وجنات الورد ذات الكمام

عن عذبات الرند مسدولة عن قامة الغصن رشيق القوام

عن ناظر الاعين من نرجس عن ضاحك الزهر بدمع الغمام

عن سائل الجدول في روضة بدوحها الاملد غنى الحمام

عن فتيات تحت وقت الضحى فنادت الشمس هبوا ايا لنائم

عن نعس الاعين مكحولة عن لعس فوق حباب الغمام

قال هلال الحي مولاي عبد الحي حيانا بثغر ابتسام

فقلت الله اكبر تعجبا واطرقت تأدبا وقمت محييا ولتحياته ملبيا حالا لقدومه عروة الحبا قائلا بلسان حالي ومقالي أهلا وسهلا ومرحبا ثم اتصلت به اتصال العليل بالطبيب والمحب بالحبيب ولازمته ملازمة العرض للجوهر حتى تقلدت من قلائده بأثمن ضروب جوهر وامتزجت به امتزاج الارواح بالاشباح والماء بالراح بل كما قال وتلطف ماشاء في المقال

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا

فاذا أبصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

تلك أيام وليال في جيد الدهر يتيمة اللئالي أيام كالغرة في جبهة الزمان وليل كالخال في وجنة الاوال كم تعاطينا فيها كؤوس مذكرات وتجاذبنا أذيال محاضرات وكم جلسنا فيها على

بساط الوفاق وانتسقنا كالدر أتى انتساق فكنت طورا نتطوق من جرائد خرائده وطورا نتحلى من زوائد فوائده

فوائد الا أنهن فرائد   فرائد الا انهن خرائد

وكان رضي الله عنه لحسن ظنه بي كثيرا ما يطلعني على مؤلفاته العلمية ومقيداته الشخصية ومن ذلك هذا المؤلف الموسوم بالمظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية فقد طالعته فألفيته كلما راجعته

كروضة أرج الازهار ارجها   والزهر توجها والحسن حلاها

أحرز من النفائس ما تقر به العين وحاز من البدائع مايعرى بالنفس والعين وأحيا من هاتيك النسبة الشريفة معالم آثارها وصحح أحاديث أخبارها فلله در مؤلفه كم أبرز فيه من المحاسن ماكان مكنوزا وبرز فيه من الأحاسن ماكان اليه مرموزا وكم غاص في استخراج درره وانتخاب غرره وكم غرب في البحث وشرق وانجد واعرق واهند واشام وايمن واتهم حتى أتى مؤلفا للأقوال في حقه جمع فأفاد بل أقول كما قال شيخنا فيه وأجاد ان شئت فديوان علم وان شئت بمجموعة أدب وان شئت فرحلة عذراء وان شئت ففهرسة غراء وان شئت فتاريخا جامعا وان شئت فنور الهداية المسترشد لامعا لابل أقول حسبه من الثنا ما انطوى

عليه وانثني اذ كيف لاأحصي ثناء وهو المؤلف الذي تم كسنا وسنا وناهيك بما اشتمل عليه من ذكر مناقب آل البيت والتنويه بمفاخر الاحياء منهم والميت أولائك أوجب الله علينا احترامهم وخدمتهم وتبجيلهم ومودتهم ويرحم الله الامام الشافعي حيث قال:

ياهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد أنسكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ورضي الله عن سيدنا الجد العلامة الكبير الولي الشهير السيد الطيب بسير حيث قال ناحيا نحوه حاذيا حذوه

أنا شافعي في الصلاة عليكم ومالي شفيع دونكم عند مالكينا
فأي صلاة للذي صار تاركا لها في صلاة هبه مذهب مالك
ومالي لاارض بما قال شافعي وعنده قلبي والحشا وهو مالكي
بجاهه عند الله جئتك سائلا لتجعلني عبدا او ادنى المماليك

كيف وهم البضعة المصطفوية وفروع الدوحة النبوية الذين لاتحصر فضائلهم ولاتحصى ولايوتى على كمالاتهم بالعد والاستقصا اولائك الذين ضاق النطاق عماهم من المآثر وحارت الشعراء في نظم سلك ماهم من المزايا والمفاخر

هم الذين امتطوا أوج السما وسموا كالشمس في بهجة والبدر في شرق وبالجملة المغنية عن التفصيل ان هذا المؤلف الموضوع في ذلك البيت الاصيل لتضيق عنه عبارة واصفه الفصيح بل قصاره العجز عن الوصول الى فضائله الفسيح

فقل ماشئت فيه من مديح تراه فوق مانطق المديح

ولعمري اني منذ سرحت طرفي في بستانه وأجريت طرفي في ميزانه واتت والتشبيت بسلافة معانيه وكرعت في معين معانيه وانا لما حصل لي من الاعجاب كالنشوان لا أدري ويا ليت شعري

اذا روض تزين بالازاهر كما زينت سماء بالزواهر

اشاد ن من فرط اشتياق كرنة المزامر والمزاهر

اسلك راقنا في طوق غيدا تنظم باللئالي والجواهر

أم الشمس المنيرة قد تبدت فاشرقت الدياجي والدياجر

بلى استغفر المولى فهذا صباح قد تبلج في المظاهر

مظاهر قد سمت وزهت فأزرت ببدر في السما نراه وزاهر

فحيينا الله مطرزها بأبهى طراز رائق باه وباهر

هو المولى الشريف أخو المزايا ابو المجد المؤثل والمفاخر

سليل طاهر من طاهر قد تكون طاهرا من نسل طاهر

همام قد تعطر من ثناه القريض ومن شذاه كل عاطر

على قد تزوج بالمعايا فاولدها المكارم والمآثر

اذا منه بدت شمس المحيا فكبر حول هاتيك البشائر

وان أبصرت روض الحسن منه فباه الروضة الغنا وفاخر

أيا مولاي عبد الحي روحي فداؤك من محي يا وزائر

هواك تسري كأنفاسي بنفسي كما عن ودك انطوت الضمائر

شمائلك الكريمة من شمال ارق ومن شمول في المعاصر

حكت زهر الرياض سنى وحسنا ونشر المسك بل نشر المجامر

فطب نفسا وجر ذيول فخر فائت التاج في هام الاكابر

وانت ابن الالى سادوا وشادوا لنا من فضلهم أسنى المنابر

أيا مولاي عبد الحي طبتم وطاب الشكر فيك لكل شاكر

فدونك مدحة قد ضاق عنها نطاق الناثرين وكل شاعر

كما قد ضقت عما حزتموه وضاقت عن نهاية الدفاتر

قاله بلسانه ورقمه ببنانه عبيد ربه الراجي رحمة ربه في هذه الدار وفي تلك الدار محمد بن الحاج مصطفى بوجندار غفر الله له كل الاوزار بمنه آمين.

زمان المجد هل لك أن تعودا وتنشر فوق مغربنا بنودا

أبعد العز هل ترضون ذلاً فهلاَّ يا شباب الغرب هلاَّ

أبعد جلالنا نرضى الهوانا أينعم في أراضينا سوانا

فيا وطناً على الأوطان يعلو إذا يوماً بنوك بك استقلوا

وهل ترضون بعد العلم جهلا خلقتم منكم نشأ جديدا

ومما جاء في جواب بوجندار قوله:

تهتم بالوطن العزيز وترتجي إنقاذه من ورطة الأخطار

وتود للوطنيين شأناً في التقدم والتقدم منية الأحرار

وعليك مع مسك الختام تحية من خلك الأوفى أبي جندار

ما للغزال فجل الله منشيه إذا كتمت هواه الدمع يفشيه

حديث حسنه في قلبي له أثر عن واقد الوجنات اللحظ يرويه

تالله ما لي في هواه من جلد وقد سقاني كأسا من تجنيه

هو الغزال الذي فاق الغزالة في جماله والهلال في تجلّيه

كأن شامته السودا بوجنته الـ حمرا غلام بروض الورد يجنيه

صباح غرته في ليل طرته يضل مهديه من حيث يهديه

تغار منه الظبا ومن تلفته كل الظبا والقضيب من تثنيه

توقد الحسن بين ماء وجنته وإنما القلب يصلى من تلظيه

ماء ونار بخده قد اجتمعا فأعجب لضدين قد تجمعا فيه

تزوج الشهد من مدام ريقته فأنتجا الجوهر المنظوم في فيه

تكاد من رقّة تجري معاطفه لكن قلبه جلمود من التيه

ما طرفه غير سهم راشه كحل إذا رمى القلب منا ليس يخطيه

آه على نفثات السحر يقذفها جفن فتير مياه الغنج تسقيه

ما رام يلحظ مرأى لحظه أبدا إلا انثنى وسهام الوجد تصميه

وقال رحمه موشحة:

عنبر الليل وكافور الصباح بهما طاب اغتباقي واصطباح

قم بنا فالوقت وقت الطرب

وإلى الحانات باكر واخطب

بنت دن من عصير العنب

ما على صب تعاطاها جناح إن صبا والليل مسود الجناح

أشرقت بين كؤوس الذهب

وتجلت في عقود الحبب

مثل شمس حرست بالشهب

هي في الأقداح أنوار وراح وهي في الأشباح نيران وراح

زفها بدر تسامى في سما

مطلع الحسن اذا ما ابتسما

منه ثغر الأقحوان احتشما

وغدت كل الكواكب الصباح تتوارى وقتما وجهه لاح

يا له من أهيف القد رشا

عطفه من خمرة الريق انتشا

كقضيب ان تثنى أو مشى

خجلت منه عوادل الرماح كلما من نشوة الإدلال ماح

آه ما أحلاه ظبيا شردا

سجد البدر له لما بدا

كم بوصلي دون هجري وعدا

ثم شاب الجد منه بالمزاح وانتمى للخلف بالقول الصراح

وأنا منه عليل في شفا

جرف هار ومالي من شفا

غير مدحي لجناب المصطفى

سيد الكونين أفضل الملاح ملجأ العشاق عند الإفتضاح

النبي الهاشمي العربي

جوهري الذات زاكي الحسب

طيب الأصل عريق النسب

نسب دونه إفصاح الصباح واسفرار الأنجم الزهر الصباح

خصه الله بفضل ماله

من نظير حيث قد أرسله

وعلى كل الورى فضله

واصطفاه لاستماع والتماح ليلة المعراج ليلة النجاح

ثم جبريل به أسرى إلى

ان دنا ثم تدلى واعتلى

ورأى الحق بلا كيف ولا

جهة حيث تجلى لاح حيث آيات الهدى ذات اتضاح

قيل يا عجب سراه في الحلك

قلت لا عجب سراه والملك

انه البدر ومسراه الفلك

قد تلقى ما تلقى ثم راح في ذمام الليل في خير رواح

وحباه كم وكم من معجزات

معجبات للجميع معجزات

هي آيات ولكن بينات

مثل تشفيعه في اليوم المتاح وارتواء الناس من حوض وراح

وانشقاق رىء في بدر السما

وكلام الضب لما سلما

بلسان عربي مثلما

شادن أعرب في النادي وصاح بكلام أخرس القوم الفصاح

يانبينا نطق الذكر الحكيم

بالثنا عن خلقه الخلق العظيم

ضقت ذرعا ما عسى فكري العقيم

ما عسى يبلغ في شأو امتداح مالك الله من الفضل أتاح

حق والله رجوعي القهقري

فلتقد مني فأني من ورا

يا رسول الله يا خير الورى

انني جئتك مقصوص الجناح ليس لي عن بابك الأحمى انتزاح

والأنت المرتجى خذ بيدي

كن شفيعي كن مجيري في غد

عند ذاك الموقف المتقد

موقف يسبي الورى ما فيه صاح الا والا الصاحب يدري فيه صاح

ياشفيع الخلق جد لي بالمرام

انني أرجوك في يوم الختام

وشفيعي لك سلطان الأنام

زينة الدنيا وتمثال الصلاح بهجة العصر ومصباح الفلاح

مالكي يوسف نجل الحسن

العلي العلوي الحسني

فاق في خلق وخلق حسن

ووشت في روضة الزهر الرياح بشذاه فلذا طاب الاقاح

ملك كله حلم وندا

حاتمي دونه قطر الندا

لم يزل يبسط كفا ويدا

بل أسانيد أحاديث السماح رويت عنه عواليها الصحاح

يا أميري يا أمامي المرتضى

يا هلالا في سما المجد استضا

لم يزل في الحق سيفا منتضى

لقد استقبلك العيد ولاح تجره طلق المحيا في اتضاح

مسفرا عن مولد الهادي الامين

جدك المختار خير العالمين

صاحب الآيات والنور المبين

فاقتبل وفد التهاني بانشراح وتقبل تهنئاتي بارتياح

هاكها تهنئة شعرية

لك زفت طرفة ودية

اكتست منك حلى تبرية

تهنئات وشحت أي انتشاح والثنا كان له خير وشاح

وسلام ترتضيه مستدام

طاب من طيبك يا مسك الختام

فارض مني يا بدر التمام

ما حلالي مدحك العذب وفاح عنبر الليل وكافور الصباح

وقال رحمه الله

ألا قل لذاك الرافعي حكينا حليف الدها رب البها والبدائع

لكن زرتني واقبل بود حالك لله كان في عيني كأس ناصع

أراك به بين الائمة لانسا كبدر يدا بين النجوم اللوامع

فشكرا على تلك الزيارة الأبها رفعت ناس في أعالي البراقع

والمت مقامي فافتخرت مني السرى ولابد على فخري اذا كنت رافعي

وقال تقريظا لشعر صديقه محمد الجزولي:

هذا شعورك أم يراعك جار ببديع ما تنشيه من أشعار

أم ذا طراز للغواني أم طرا زك رصّعته أنامل الأفكار

أم روضة غناء غنتنا بها قمريّة سحرا من الأسحار

قد جادها قطر الحيا فتبسمت لبكاء جفن الهاتن المدرار

ووشت بها أيدي الربيع مطارفا من فضة وزبرجد ونضار

وصبّت بها ريح الصبا فتناثرت زهر الأزاهر من سما الأشجار

ما بين أصفر فاقع في أبيض يقق وأخضر يانع كعذار

لا لا وحقك والبخاري المرتضى وكتابه ورجاله الأبرار

ماذا سوى ذكراه يا بشراه قد جاءت تذكر أيما تذكار

أكرم بها ذكرى البخاري قد أتت موصولة الإسناد والإخبار

جاءت تروي من حديث حياته سندا صحيح المتن والآثار

وتذكر الأبناء في مجد مضى لجدودنا في سالف الأعصار

وتبين للأقوام آثار الألى سادوا وشادوا أعظم الآثار

وتذود عن حوض الشريعة ما طفا في حوضها الصافي من الأكدار

وتحرك الهمم السواكن للعلا وتثير فيها كامن الاسرار

وتنبه الافكار من غفلاتها بمواعظ التبشير والانذار

لله درك يا أبا عبد الإله المرتدي فينا رداء فخار

أبشر لقد نلت الأماني في شبا بك والشباب مطية الأوطار

حتى غدوت تعد في نظر الأديب الألمعي في رتبة النظار

فتقول عن علم وتنقد عن حجا وترى رأيك رائد الأنظار

ترنو بعين مفكر متبصر صافي البصيرة نافذ الأبصار

تهتم بالوطن العزيز وترتجي إنقاذه من وهدة الأخطار

وتود للوطني شأنا في التقدم والتقدم منية الأحرار

صدقت أمانيك التي أملتها بالرغم عن حسادك الأغمار

قسما لقد جهلوك يا أسفي فهل أعمى بصائرهم عمى الأبصار

لو أنصفوك لأنزلوك مكانة تسمو على الهالات والأقمار

بل أنكروا جهلا وليتهم دروا فاستبدلوا الإنكار بالإقرار

كلا لقد حسدوا وما ظلموك إذ عرض الأفاضل عرضة الإنكار

والله يعلم ما تكن وقد كفى والله مطلع على الأسرار

وعليك في مسك الختام تحية من خلك الاوفى أبي جندار

يا ليلة أمرها عجيب بالرغم عن هجمة الرقيب

نلت بها غاية الأماني لا تعرف النقص والمغيب

طالت وطابت وأسفرت عن حسن وأنس وخير طيب

ثم مضت كالبريق لمعا مسرعة سرعة النجيب

فخلفت قلبنا كئيبا وجفننا دمعه سكيب

هي فتاة الزمان لكن من نورها قرنها مشيب

ليلة بدر وكل بدر طلع فيها فلن يغيب

كنا بها والحسود غاف وغافل زورة الحبيب

فنم طيب الحبيب عنا والطيب كم نم عن حبيب

ثم إلى عاذل أتانا يتلوه واش مع الرقيب

فهجموا غرة ولكن قد فرّج الله في قريب

فخرجوا ظافرين منا بصفقة الخاسر الكئيب

ولم نزل نحن بين كاس وغصن آس ولا رقيب

كأننا في جنان عدن كوثرنا الشاي والحليب

عسلنا الشهد من شفاه وخمرنا ثغرها الشنيب

وشربنا الريق من لماها يا ما أحيلاه من شريب

وحورنها العين ما نراه من أوجه حسنها غريب

سفرن صبحا ولحن بدرا ثم تلفتن كالربيب

وقلن فلتنظروا بدورا ولتصفوا حسنها العجيب

جبين نور وثغر نور يفتر عن لؤلؤ رطيب

طرّة مسك وخد ورد نكهة عطر وريح طيب

لحظ مهاة وجيد ريم وقد رمح حكي القضيب

وكم جمال وكم كمال يعجز عن وصفه الأديب

في ليلة البدر قد تجلّى يا ليلة أمرها عجيب

الحمد لله الذي جعل العلم للنفس أكمل حلية ، وللعقل أشرف زينة ، والشكر له سبحانه على ما أسدى من نعمه الجليلة الثمينة. والصلاة والسلام على عين الرحمة وشفيع الأمة ، سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين الذي استعار منه الفضل الفضلاء من الأولياء والصالحين. وعلى آله الكرام، وأصحابه الجهابذة الأعلام ، والتابعين لهم باحسان الى يوم النشر والقيام. أما بعد فلما من الله تعالى وجل جلاله علي بمطالعتي وتصفحي هذا الكتاب النافع المفيد ، الجامع من النكات والرقائق مايسر المستفيد:

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسنا وتعشقه من حسنه الصور

المسمى بإظهار الكمال ، في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال ، ألفيته جواهر نظمت في سلوك العقيان وفوائد منضدة غالية الأثمان ، فياله من مؤلف ، جمع فرائد وشوارد الزوائد وما عنها تخلف:

كأنه روضة غناء نمقها كف الربيع فجاءت نزهة الحدق

فحقه أن يكتب بنور الأبصار ، على صفحات الأنوار ، وأن تكتحل بعجيب إثمده الأعين، وترتضع كل وقت من ثدي عباراته الأفواه والألسن ، وبالجملة فهو شفاء العليل وبرد الغليل، وكيف لا يكون الأمر كما وصف ، ومؤلفه الامام بأعلى الشيم متصف ، ألا وهو

الفقيه العلامة، المشارك الدراكة الفهامة، مقيد أوابد العلوم، ومالك أزمة المنطوق منها والمفهوم، الجهبذ العالم الفاضل، الممتاز بين الأقران بالرفعة كالفاعل، تاج البلغاء، وسحبان الأدباء، ونخبة النبلاء والألباء، أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشي كان الله له وليا، وبه حفيا:

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقلت مادحا لهذا الكتاب الفريد المستطاب، الجامع لما افترق في غيره من العلوم والآداب محبة فيه وفي صاحبه، وقياما من حقه ببعض واجبه.

هذا سنا روض المحاسن راق متلألئا فيه منى المشتاق

أم ذا الجمان أم الجواهر نظمت لعقود نحر الغيد ذي الاشراق

بل انه شرح عجيب أفقه يزهو بنور الفهم في الأذواق

شرح زها بمديح أهل الفضل سا دتنا الكرام نفائس الأعلاق

هم سبعة فخرت بهم مراكش أقطابها حقا ذوو الترياق

وأكرم اذا رمت المناقب جمة تروى بشرح فاتح الأغلاق

فيه تجمعت المحاسن كلها من لؤلؤ وزبرجد الأطواق

قد صاغه الحبر الكريم المنتقى من فضله قد شاع في الآفاق

المجهبذ الفرد الفريد المرتضى بحر المعارف طيب الأخلاق

هو سيدي العباس من ملك العلى فخر الأماثل كعبة الحذاق

أبقاه ربي في المفاخر والعلو م بجاه خير الخلق بالأطباق

صلى عليه الله ماهبت صبا وثنت قدود الغصن ذي الأوراق

والآل والأصحاب ما شاد شدا هذا سنا روض المحاسن راق

وكتبه مع استعجال ، وزيادة ضعف البال العبد الفقير الخاطي محمد بن الحاج المصطفى بوجندار الرباطي سامحه الله وكان له وتولاه بذي القعدة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف.

وقال مساجلا الأديب الشهير نابغة لبنان الشيخ رشيد مصوبع وقت اتفاق اجتماعهما بروض القصر وذلك ثاني عشر جمادى الأولى عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف:

أبو جندار:

قم بي إلى اللذات قبل فواتها   هذي الرياض الزاهرات فواتها

مصوبع:

نشتاقها بعد الفراق لأنها   أحيت لنا الأرواح بعد مماتها

أبوجندار:

طاب الغبوق بها على شمس الأصيـ   ـل وطيرها الشادي على دوحاتها

مصوبع:

قد زينت مكناسة بجمالها كالخال زين للدمى وجناتها

أبو جندار:

فكأنما هي جنة الفردوس في ها مايروق العين من لذاتها

مصوبع:

إن قام يعبس قلب مكروب أسى أهدت لعابس قلبه

أبو جندار:

وإذا تنسم طيبها ميت الهوى أحياه ماحياه من نسماتها

مصوبع:

حسناتها ليست تعد وحسبنا أن السرور يكون من حسناتها

أبو جندار:

والحس والإحسان بعض صفاتها والأنس والإيناس بعض هباتها

مصوبع:

نرنو لها فنخال طلعة ربها في البشر والإشراق من زهراتها

أبوجندار:

ونجار هل حاكت جميل صفاته   أو أنه الحاكي جميل صفاتها

مصوبع:

نشرت لنا كفاه من طيب النهى   ماكان أطيب من شذا نفحاتها

أبوجندار:

وطوت عواطف قلبه ودا لنا   مثل المدام الصرف في كاساتها

مصوبع:

لازال بدر علاه في سمواته يسمو على الجوزاء في سمواتها

مآثر إسماعيل أسمى المآثر فقاخر بما شاهدت منها وكاثر

ونزه جفونا في محاسن صنعها تجد مفخرا يسمو جميع المفاخر

مفاخر إلا أنهن بدائع بدائع إلا أنها صنع ماهر

مصانع إلا أنهن نواصع نواصع إلا أنها كالزواهر

فعج بي رعاك الله نحو ضريح من غدت عن مزايا ملكه خير سافر

مزايا غدت علوية علوية علت بمليك كامل الفضل وافر

مكناسة عهدي بها مرفوعة   فلإيما نصبت على التمييز

فتأرجت وتبرجت وتبرزت   مثل العرائس ساعة التبريز

وكفاك أن رياضها وحياضها   تنسيك في "فرساي" من باريز

هاتيك إسماعيل أبدع صنعها   ولهذه آثار صنع "لويز"

وكلاهما بلد عليه حلة   في غاية الإبداع والتطريز

وعلى قصورهما المحاسن أصبحت   مقصورة كتقاصير الإبريز

من لي بزورة تلك أو هذي فهل   حكم القضاء أتى على التجويز

لاخيب الله الرجا حتى أرى   وعد الزمان اليوم في تنجيز

مكناس ليست لو ترى حجراتها   إلا كناسا للظبا ومهاتها

بلد بها يأتي إلى المضنى الشفا   ياحسرة المضنى إذا لم يأتها

طاب الهواء مع الهوى في حيها   والماء كالصهباء في كاساتها

إن جئتنا تسقى بأكواب وكأ   س من معين في أكف سقاتها

فكأنما هي جنة الرضوان طا   ف الحور والولدان في عرصاتها

سافر إليها عاجلا أو آجلا   واغنم بها السراء قبل فواتها

وإذا لمحت معاهدا قد أومضت   ومضت بها اللذات في أوقاتها

حي ابن زيدان الرضا والأحمدي   ن الناظر الأسمى وخير قضاتها

وداعي صحيح واصطباري عليل   وخدي بمرسل الدموع عليل

فيا حرقتي وقت الوداع وانتي   ويا حزني من قد بان عنه خليل

مالي وما لسهام الغنج والكحليل كم رحت منها قتيل البيض والأسل

هي العيون فسل عنها مصادمها ان جاء معترك الأرواح والمقل

تسطو بسيف من الأحداق منصلت يرمي كرمي رماة من بني ثعل

الله حول فؤاد حله قمر يجل في حسنه والله عن مثل

أما وغرته الغراء شمس ضحى وقامة اخجلت سمر القنا الذبل

وطلعة قد أضلتني بطرتها لولا سنى قد هداني بالجبين جلي

ووجنة بمياه الحسن قد سقيت يقبل الخال منها وردة الخجل

ومبسم عن رطيب الزهر مبتسم شيبت مراشفه بالخمر والعسل

لم أنس ليلة أنس أو مضت ومضت عهد الصبا والهوى واللهو والغزل

قضيتها كلها والعين راتعة في روض حسن على اللذات مشتمل

حتى بدت راية الصباح حاكية رايات سلطاننا المنصور سبط علي

أبو المحاسن والاحسان يوسف من أضحى سناه على هام السناء علي

شمس باوج سماء المجد مطلعها لكن بهجتها في الكون لم تحل

بدر يزيد مع التمام رونقه وأي بدر بعيد التم مكتمل

أكرم به ملكا بحور شيمته تدفقت بالتقى في القول والعمل

طابت علاه كما طابت مفاخره فطيب الكون طيبه ولم يزل

فاين طيب الورى من طيب عنصره وهل رطيب الكبا والمسك كالوسل

يامن يمثل بالانواء نائله أكفف فما لجج البحار كالوشل

وقل لمن رام في فضائله ليس التكحل في العينين كالكحل

ان الفضائل حفته ولا عجب أن يجمع الله كل الفضل في رجل

انظر اليه ترى نور النبوءة قد حلاه من بشره بالحلي والحلل

ونزهن في محياه العيون تجد في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فاين نور الضحى منه نور طلعته وهل يساوي السهى شمسا بلا طفل

مولاي يا واحد الدنيا وبهجتها ومن بمدح علاه صرت كالثمل

أبشر بشهر أتى بالبشر مبتسم بالانس متسم بالحسن مكتمل

ولتهنك الليلة الغرا وموسمها عيد السرور بنيل السؤل والامل

واهنأ بمولد أسنى الخلق قاطبة أصل الوجود وخير الخلق والرسل

المصطفى المجتبى المختار من مضر كهف الانام وأمن الخائف الوجل

خير البرايا حبيب الله شافعنا يوم يكون الورى في شدة الوحل

ذاك الذي وطئ الغبرا باخمصه كما ارتقى ليلة الاسراء عن زحل

وخصه الله بالقرآن معجزة والبدر شق له نصفين في الجبل

وظللته غمامة بها استترت من نوره خجلا غزالة الحمل

والجذع حن له والضب خاطبه والظبي كلمه بنطق مبتهل

والصم قد سبحت في كفه كرما والماء يهمي بمنهل ومنهمل

وكم وكم معجزات مالها عدد تالله جلت عن الاحصاء والمثل

صلى عليه اله العرش ما صدحت قمرية الغصن في الابكار والاصل

وآله الغرو والاصحاب ما انسجمت مدامع السحب في رسم وفي طلل

والتابعين لهم ما مدحة ختمت بالمدح وافتتحت برقة الغزل

اعتذار من كاتبه أبي بكر بن أحمد بناني لأبي عبد الله السيد محمد بوجندار الرباطي:

أديب العصر دمت لنا أميرا على الشعراء في بر وبحر

وتحكم فيهم بالحق عدلا وتقطع السنا فاهت بهجر

اليك تحية تزكو عبيرا يفوح شذاه من مسك وعطر

تعم جنابك العالي افتخارا وتعرب عن ودادي ثم شكري

أتاني عنكم استدعا لاحقي بناديكم بؤية أهل بدر

فوافاني ونحن بربع قرم جليل زانه شنب بثغر

غدا يعزي لآل بني ملين ويدعى بالحسين لحسن صبر

فجمعنا بناديه اجتماعا تنظم عقده تنظيم در

وكنت لديه مع قوم عظام ذوي علم وآداب وشعر

وقد أبدى بمجلسه ضروبا من الخيرات جازت كل حصر

وعقبها بماء من ورود وند عرفه بالمسك يزري

لذلك لم أجيء فورا اليكم ولم أسعد برؤية أهل بدر

فسامح وأقبل الاعذار مني فشأن الاكرمين قبول عذر

ونشكر جانبا منكم عليا على جمع الكرام وأهل الخير

وأبقاك الاله لنا معا في تجر على سواك ذيول فخر

كتب في 23 شعبان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

جواب الاديب أبي عبد الله محمد بوجندار:

أبابكر أتتني بنت بكر تباهت وازدهت وزهت كبكر

أتت فسبت وحيت ثم أحيت لما أبدته من عذر وشكر

فثق أني قبلت العذر لما أتيت الي معتذرا بشعر

بشعر قد يذيب الصخر لطفا ويعبث بالعقول كنفث سحر

ويهزأ بالثمين وكل عقد نضيد صيغ من تبر ودر

وثق أني الودود وفي وداد أخو الاخلاص في سري وجهري

وقلبي مثل قلبك في صفاء ومنك قد استعار صفاه صدري

وكيف وأنت من أهل السجايا ومن أهل المزايا دون فخر

لك القدح المعلى في المعالي وقدرك في الرباط أجل قدر

واما السائح المفضال لما تخلف عن دعائي لاالعذر

فعله ليس يدري كنه ودي ومن لي أن أخبره فيدري

ولو لبى الدعاء لخير جمع لقلد لبتي مننا ونحري

ولكن قد أبى الا خلافا وهل بغضا فحاش ولست أدري

على أني التمست له اعتذارا لأنه عندنا من أهل بدر

ودونكما سلامي في ختامي كروض باسم عن ثغر زهر

وقال يمدح شيخه المكي البطاوري

مالي وما الظبي جل منشيه إذا كتمت هواه الجفن يفشيه

حديث حسنه في روحي له أثر عن واقد الوجنات القلب يرويه

تا الله ما لي في هواه من جلد وقد سقاني كأسا من تجنيه

هو الغزال الذي فاق الغزالة في جماله والهلال في تجليه

كأن شامته السودا بوجنته الـ حمرا غلام بروض الورد يجنيه

صباح غرته في ليل طرته يضل مهديه من حيث يهديه

تغار منه الظبا ومن تلفته كل الظبا والقضيب من تثنيه

توقد الحسن بين ماء وجنته وانما القلب يصلى من تلظيه

ماء ونار بخده اجتمعا فاعجب لضدين قد تجمعا فيه

تزوج الشهد مع مدام ريقته فانتجا الجوهر المنظوم في فيه

تكاد من رقة تجري معاطفه لكن قلبه جلمود من التيه

ما طرفه غير سهم راشه كحل اذا رمى القلب منا ليس يخطيه

آه على نفثات السحر يقذفها جفن فتير مياه الغنج تسقيه

ما رام يلحظ مرء لحظه أبدا الا انثنى وسهام الوجه تصميه

من ذا الذي لا يموت عند نظرته ان لم تكن نظرة المكي تحييه

السيد السند الميمون طلعته فخر الرباط وقاضيه ومكيه

ذاك الهمام الذي تقصيه همته عن الضلال وللرشاد تدنيه

يهدي لنا الروض من أنفاس طيبته ما الريح ينشره والزهر يطويه

والبشر يبدي لنا من حسن طلعته ما الشمس وقت الضحى تكاد تحكيه

فهو الجليل الذي اوج السماء سما فجل عن كل اطراء وتنويه

يا سيدا صححوا حديث سودده فلا ترى غير راو أو مرويه

قد تم شهر صيام كنت تخلصه وبالقيام تحييه وتحييه

وقد تبدي هلال الفطر في شرف   بعد اشتياق اليك كاد يخفيه

فاهنأ به واقبل ثناء مقتصد يطيعه العي والافصاح يعصيه

وهاك من آي شعري أي معجزة لمن يرى الحس في التصديق يكفيه

سمعنا أن ميلرانا يزور فخامرنا لمقدمه السرور

وقد وافى فكادت حين وافى من الافراح أنفسنا تطير

وكيف يزورنا حامي حمانا ويغشانا السرور ولا نطير

فيا أهلا بزائرنا وسهلا ويا طوبى فقد طاب المزور

ويا أهلا بمن معه ازرنا مشير او مدير او وزير

حكيم أو صحافي بير رئيس أو سياسي خبير

سقى الله فرنسا من بلاد هي الحسنى فليس لها نظير

بنوها كلهم أبناء أسد اذا عد الرجال وهم نسور

نعمنا في ظلالهم حياة وجلينا من الحلل الحرير

واضحت أرضنا تهدي نضارا فعاد أخا غنى منا الفقير

امنا في الزمان فليس نخشى عدوا فيه يسطو او يجور

وكيف نهاب في الدنيا عدوا وكل منهم أسد هصور

وكيف نخاف في الدنيا ضلالا وكل منهم قمر منير

فرنسا جنة في الأرض منها يفوح على بني الدنيا العبير

فرنسا أفق هذي الأرض منها يلوح على بني الأيام نور

لتحيى فرنسة وليحي (ميلرا) رئيس بلادها العلم الشهير

تحييه القلوب وفي حمانا تكاد هوى تحييه الصخور

نبش له وما ابتسمت سرورا لمقدم غيره منا ثغور

له الاهداب نفرشها بسطا يكرم ذلك القدر الخطير

بدور الفضل وافرة ولكن لي ميلران تعنو ذي البدور

اذا ذكروا البراعة كل كف تبدت نحو ميلران تشير

محب الحق عاشقة المعنى بأصره اذا فقد النصير

أعز العالمين على بلاد به يوم الكريهة تستجير

لتبق (فرنسا) في الدنيا سماء (ميلرا) في مجرتها يدور

فيشرق في الضحى شمسا علينا   ويطلع في الدجى بدرا ينير

واستجاز الشيخ الاديب المكي البطاوري فقال رحمه الله:

أبدرا في سماء العلم يسمو سموا لم يجز بدر مجازه

أزف ثنا بيان ثنائه قد أبان حقيقة تخفى مجازه

وللمداح من أولي المعالي ومن عليائك الغرا أجازه

وسؤلي منك في نقل وعقل وتأليف وتدريس اجازه

وقال رحمه الله من مساجلة مع الأديب أحمد الحامون البلغيثي:

ألست وسمت بالإيطاء شعري كأنك ما اطلعت على اطلاعي

وعنك أخذت إحكام القوافي ولي بك في العلوم طويل باع

فلا إيطاء عندي في قريض بل الايطاء تنفره طباعي

وعذري أم ماقد قلت فيه جرى مجرى التغالي في الدفاع

وقال مجيبا شيخه أحمد بن المامون البلغيثي:

فلهذا نظمت في القاف والقا ف على العين في القوافي تفوق

ولك الباء فارضها ودع الطا لسواك الذي إليها يتوق

واقصد الظا فالأنام فريقا ن فريق للطا وللظا فريق

وكأني وقد ظفرت بطاء أنت في قعرها العميق غريق

فلذا قد أتيت ترغب في الظا وهي عند الأديب ليست تليق

وإذا ما ارتأيت فيها صلاحا فهنيئا بما ترى وتذوق

وقال أيضا في جواب لبوجندار يخاطب الشاعر البلغيثي، وقد عدل هذا الأخير في مساجلته عن حرف الحاء إلى العين يقول:

ومالك واجتناب روي حاء   حلا في الذوق منا والسماع

أليس الحاء تحلو في القوافي   كما تحلو لنا عند الجماع

هل عوضتها عينا لنحظى   بعين أنت تعشقها لداع

فنحن اليوم في شهر كفانا   بأنه شهر مولانا المطاع

وحتما أن نقدره بترك الت   مازج والنزال مع النزاع

وها عشرون من رمضان ولت   وباقيه تأهب للوداع

وقال يمدح شيخه المكي البطاوري:

الروض يفتر باكرا أقاحيه   إذا بكى من غمام الصبح باكيه

والغصن مياس أعطاف القنا طربا   كأنه ثمل بصدح قمريه

والطير تبدي انتحابا من صباباتها   كمدنف بارق الظلماء يشجيه

بدر محياه تومي بالسجود له   شمس الضحى والهلال في تجليه

بحر عطاؤه إن يممته جوهر   بالدر واللؤلؤ المكنون يحكيه

وكتب إلى شيخه احمد بن المامون البلغيثي مسترعيا:

ألا ياموعد الايناس ليلا أتيت على النهار تجر ذيلا

فيرد البلغيثي:

ألا إني لوعدك غير ناسي وهل أنسى لكم أنا ووصلا

قد أصيبت الابيات الرائعة بعين الكمال، فوقع بالقافية منها بعض إخلال، وتنبيه النبيه له وجه وجيه. فيرد محمد بوجندار بقوله:

نظرت كما اشرت إلى قريضي كأن به اعتلالا حين يتلى

فيراجعه البلغيثي:

أعد نظرا لما ارسلت قبلا تجد ياصاح فيما قلت نبلا

فيأتي الجواب من بوجندار:

فطنت لما اردت وانت ادرى بكون الخطب فيه غدا سهلا

وقال مستدعيا للشاعر احمد بن المامون البلغيثي:

وعدت بتشريفي فلن أترددا   بأنك فينا أصدق الناس موعدا

ولكن بعد الظهر ظرف موسع   فمطلقه لابد أن يتقيدا

فكن زائرا غب الصلاة واثرها   ليحصل تشريف لمائدة الغذا

ووجه رحمه الله إلى صديقه الأديب أحمد بن الحاموني البلغيثي وهو إذاك مقيم بمدينة الرباط هذه القطعة الشعرية –وكان بوجندار مقعدا بشلل، يزار ولا يزور...

تعودت في عيدي زيارة –أحمد– وكل امرئ يحلو له ما تعودا

فياليت شعري هل يعود لعادة يكون بها التعييد والعود أحمدا

إذا الناس فينا عيدوا وتجمعوا فلا عيد إلا في اجتماعي بأحمدا

ولا انس إلا ما يؤانسني به ولا عهد إلا ما به قد تجددا

فقل لأبي العباس أحمد من غدا كبحر خضم بالمعارف زبدا

لعمري، إنني في اشتياق لزورة تقوم بها عندي الصباح ولو غدا

فإن زرت، قلت العيد أقبل زائرا وأهلا بعيد لايزال مؤبدا

فأجابه بقوله:

حنانيك، يا من فضله قد تعددا وما أحد في فضله قد ترددا

وحقك إني نحو ربعك شائق كشوق محب للحبيب توددا

على أنني لولا التعلل دائما بطيب حديث عنك أرويه فسندا

لكدت بفرط الشوق أسعى إليكم على الرأس —لا ذلا— ولكن توددا

وأنت على رغم الحسود مؤهل لزورة مثلي إذ غدوت مسودا

وما صدني عنها لدى العيد غيرما دعاني —لفاس— من دواع إلى اهتدا

وما زال في خلدي زيارة ربعكم لأقضي حقا لا أرى عنه مبعدا

وبعد صلاة الظهر من يوم جمعة أوافيكم كيما أوفي موعدا

فدم تبتغي طرق المعارف سائدا وقم تبتني صرح المعالي مشيدا

فراجعه أبوجندار بقوله:

وعدت بتشريفي فلن أتردد بأنك فينا أصدق الناس موعدا

ولكن بعد الظهر ظرف موسع فمطلقه لابد أن يتقيدا

فكن زائرا عقب الصلاة واثرها ليحصل تشريف لمائدة الغدا

لمائدة قد زخرفت وتلونت بأشهى طعام أبدعته يد الندا

فمن أبيض في أخضر كزبرجد ومن أحمر قان يفاخر عسجدا

ومن حول ذا دارت نجوم أحبة وبينهم بدر عنوا له سجدا

إذا ما تثنى من دلال حسبته قضيبا ولكن بالتثني تفردا

ولو حمل الكأس العتيق يزفه إليك تقول البدر يحمل فرقدا

لذا جئت أدعوا سيدي وهو واجبي إذا قمت أدعوا نحو (دعوة أحمدا)

فأجابه معرضا له بما كان تلاه عليه من قصيدة يمدح نفسه فيها بأنه أشعر أهل عصره:

حنانيك يا نعم الأديب الذي بدا بديوان آداب وزيرا مؤبدا

يمثلك الفكر السليم مصدرا على شعراء العصر صدرا مؤيدا

تناجيك من سري عذوبة شعركم فيظهر في الأذواق درا منضدا

مناجاة ملك وجهت لمؤهل يقوم بأعباء البلاغة منجدا

ألبيك يا نعم الفتى ما دعوتني وهل ذو رشاد لا يلبي محمدا؟

وإن كنت أعددت الموائد شيمة ونوعتها من صنع من حسنت يدا

وكنت بهذا في سرور وغبطة فلا عجب إذ ما تقصر عن ندا

لذا جئتكم والشوق يدفعني إلى مراقبة البدر الذي قلت قد بدا

فإن تعجبوا لما تخلف عنكم بأول يوم الشهر من دعوة الغدا

فلا عجب وهو البدر قلت، وهل يرى بغير ليالي التم بدر ترددا

فموعدنا يا صاح ليلة تمه نراعي له في أفق ربعك مشهدا

فأوف وأخف عن رقيب وعاذل وواش ترى منهم لمقعدك الفدا

فكان جواب أبو جندار على هذه القطعة قوله:

أشعرك هذا؟ أم شعورك قد بدا فأربى على الشعرى وأدلى بأزيدا

وأحرز في باب الإجادة سمعة مدا الدهر ما زالت ترددها الصدا

فشرق فينا ثم غرب ذكره وأتهم في الإبداع معنى وأنجدا

قريض أريض دونه زهر الربى وزهر السما والدر عقدا منضدا

تعالى تغالى في المحاسن نظمه فأضحى بحسن السبك ينسيك عسجدا

وجاء يلبيني ويبدي اعتذاره على تخلف في أول الشهر موعدا

ولا غرو فهو البدر قلنا وهل يرى بغير ليالي التم بدر ترددا

نعم وعدنا في ليلة البدر منجز فقم نرتقب من مطلع البدر مشهدا

وبادر ولا كالبدر عند طلوعه يبادرنا وقت الغروب إذا بدا

وأبشر إذا ما الدهر ساعد قد ترى بدورا وإلا فرقدا ثم فرقدا

فبدر معاط ثم بدر مغازل وبدر مغن كالهزار إذا شدا

ولو أن بدرا قد توارى لموجب فإن طلوع الفرقدين له فدا

فطب وانشرح واخلع عذارك واطرح ودعني من الإغفاء ليلتنا غدا

وبعث إلى البلغيثي بهذه القطعة الشوقية:

أيا من به تتباهى الجموع وتسمو الأصول وتنمو الفروع

ويا من إذا كان في مجلس يكون الجميع له في خضوع

تراه العيون ورؤيته ألذ لها من لذيذ الهجوع

ترى نوره الكهربائي الذي إذا لاح أخفى ضياء الشموع

أمت إليك بشوقي الذي تأجج بين الحشا والضلوع

عسى أن تشرف عند الغروب غدا من غدا قبله في نزوع

وربت شمس توافي فكن كبدر يبادرها بالطلوع

ولا تختشي من رقيب عتيد ولا من هجوم ولا من هجوع

ويشكر على تلبية الدعوة فيقول:

أيا من للعلا مشئا وجلى وأحرز في العلا القدح المعلى

وراق شمائلا خلقا وخلقا وطاب عناصرا فرعا وأصلا

تفضلتم وجدتم لي بوصل لدينا من وصال الغيد أحلى

بوصل قد أعاد إلي روحي وكان الجسم عنها قد تخلى

تعاطينا به كأس التداني وأقداح النهى علا ونهلا

بقيت لنا أبا العباس بحرا بدرك كل جيد قد تحلى

تحييك الأنام بألف أهلا وألفي مرحبا وألوف سهلا

رويدك لم تنزل فينا عزيزا شريفا ليس مثلك من شريف

ومجدك في المعالي والمعاني ولم يك مجدك قط في الوظيف

أسف وما أسفت عليك طبعا ولكني أسفت على الوظيف

له شرف بكم فانهد لكن كذاك الدهر يفعل بالشريف

مات الكمندار سيلي يا أرض سيدي وسيلي

سيلي أفق من رقاد واسمع عليك عويلي

واعلم بأني وفي برغم كل عذول

وقال رحمه الله:

لم لا أهيم بحسنه   والورد يزهو في الخدود

وقال رحمه الله:

انني لوصالكم ذو اشتياق فلتمنوا بنظرة وتلاق

فأجابه:

عن جفون لبيك لبيك ألفا لاغتنام بكم لذيذ اغتباق

واصل صبوحك بالمقيل واشرب الى وقت الاصيل

بوجندار:

لو مال فينا وانثنى كل القلوب له تميل

..

يغنيك عن ورد الربى بالورد من خد أسيل

بوجندار:

وعن الظبا وعن المها بالجيد واللحظ الكحيل

..

ينسيك من شنب الثغو روريقها م السلسبيل

بوجندار:

والكل يشهد انه في الحسن جل عن المثيل

وقال:

قد حدونا إلى الإمام ابن عيسى من ركاب الآمال عيسا فعيسا

كيف الثناء على الذي من نوره كل البرية إنسهم

…

المصادر:

محمد المكي الناصري علاج الحقيقة .ط

المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية عبد الحي الكتاني: مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء.

محمد بوجندار الكاتب والشاعر الأستاذ محمد الحيدة .ط

محمد بن العباس القباج: الأدب العربي في المغرب الأقصى - المطبعة الوطنية - الرباط 1929.

اليمن الوافر الوافي: عبد الرحمان بن زيدان .ط

عبدالله الجراري: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين - مكتبة المعارف - الرباط 1986

من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين عبد الله الجراري .ط

الحافظ الواعية المدني بن الحسني عبد الله الجراري .ط

الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح عبد الله الجراري .ط

شيخ الجماعة المكي البطاوري عبد الله الجراري .ط

الكتابة والكتاب لمحمد الزندة ط حجرية

دعوة الحق. س 33. ع 289/ ماي 1992

ص56

دعوة الحق، س30،ع 273 / مارس 1989 ص 295

رسائل الشيخ أحمد سكيرج .ط

مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح – الرباط 1926، .

الاغتباط بتراجم علماء الرباط .ط

قرص جريدة السعادة: المكتبة الوطنية بالرباط

معجم البابطين لشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين .ط

فن الرحلة بالمغرب في العصر العلوي: ابراهيم السولامي .ط

تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر بالمغرب: عباس الجراري ط.

المنار: المهدي للخزانة الصبيحية بسلا / تأليف أبي مروان عبد الملك البلغيثي

سلا : منشورات الخزانة العلمية الصبيحية ، 2005

موشحات مغربية: عباس الجراري ط.

مصادر لم أقف عليها:

كناشة في مدح المولى يوسف للطيب بن خضراء السلوي الخزانة الملكية مخطوط

ديوان احمد بن المامون البلغيثي تنسيم الاشعار (مخطوط)

ديوان محمد البيضاوي الشنقيطي .ط

شعر عبد الله القباج جمع وتحقيق عبد الله فراجي رسالة جامعية مرقون

فتح القيوم في ختمة مقدمة ابن آجروم ط حجرية به تقريظ لبوجندار(مخطوط)

كناش مجموع محمد فرفرا الرباطي مخطوط عائلة فرفرا بالرباط

ديوان الطيب عواد مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات

ديوان جعفر الناصري الخزانة الناصرية بسلا(مخطوط)

الرحلة المكناسية لبوجندار بحوزة ابنته آمنة بوجندار (مخطوط)

الدر السلكي بالزهر المسكي لبوجندار بحوزة ابنته آمنة بوجندار (مخطوط)

الارتشاف من ثغر الاقتطاف : محمد بن مصطفى بوجندار الاندلسي الرباطي: خزانة علال الفاسي : 111ع

تغيير الأسعار على من عاب الأشعار لعبد الرحمان بن زيدان العلوي : تحقيق وتقديم صقلي حسيني، نعيمة الناشر : دبلوم الدراسات العليا : الأدب : فاس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز : 1992

قصائد مخطوطة بحوزة الدكتور محمد احميدة بالرباط.

ذكريات من ربيع الحياة : محمد الجزولي ط.

مقطوعة شعرية لبوجندار: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: 2004